

سازمان

SALMANPEDIA  
WWW.SALMANPEDIA.COM

أنا جوجن بن ميجال الفيحاني  
 سب في راس الشجر، فم لكم حكايته  
 سوسن، الإنسية التي ان شؤ يكون في  
 وعاطلي، سوسن صخر عن العواصم التي  
 عالمها  
 عالم الإنسان  
 وسوسن الجوا

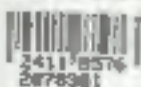


11.99 USD • 9.99 EUR • 7.99 GBP ١٢ ريال

ISBN 978-162776131-4



EA



24118576  
2678381

9

781627 II / 01314

ابراهيم عباس

إهداء لـ...

أميراتي وملكياتي: أمي وزوجتي وبناتي.

شكر لـ...

علي شنيعر الذي استمع إلى رواياتي قبل أن أكتبها،  
وألج علي إلى أن أكتبها.. وياسر بهجت رفيقي في الحلم  
اليتخيّلوني.



إبراهيم عباس.. عضو مؤسس في رابطة يتخيّلون التي تجمع  
كتاب وعشاق ومبدعي الخيال العلمي العربي، هدفها نشر  
وتحفيز ثقافة الخيال العلمي العربي وإثراء محتواها  
ومخرجاتها والارتقاء بها بشكل يؤهلها للتنافسية العالمية.

[www.يتخيّلون.com](http://www.يتخيّلون.com)

[info@يتخيّلون.com](mailto:info@يتخيّلون.com)

[info@يتخيّلون.com](mailto:info@يتخيّلون.com)

## قصة.. قبل القصة

هذه الرواية ولدت من رحم رواية أخرى.. لا تقل عنها جنوناً ولا خيالاً. رواية لم تسمها الصفحات الورقية، فنُقِشت على صفحات حياتنا وجدوان قلوبنا. تحكي قصة روح ملائكية، سكنت في جسد حورية، وعاشت بيتنا.. تظن نفسها بشرية.

كنت أسير في حياتي الروتينية، إلى أن لقيتها فإيقظت في كياني كل ما أصبحت عليه الآن، بسببها تعرفت على نفسي، وما أنذا لا أزال أحاول أن أرسم عواطفني نحوها بين ثنايا كل حرف أكتبه..

كل حرف يردد صدى لحن وجداني الدائم:

كل هذا من أجلك..

كل هذا بسبب حبك..

يا حبيبة.

إبراهيم..

(1)

ہیتنا صار مسکوناً.. بالانس!

أنا حوجن..

حوجن بن مبحال الفيجي..

شاب في أوائل التسعين..

سأعطي لكم قصتي..

قصتي التي لم تبدأ بالفعل إلا منذ بضع سنوات.. مع  
سوسن.. الأنسية.

حسن، يهمني أن لا أتحدث مع من يتخيلني عفريتاً ذا عين  
واحدة وقرون وسيقان ماعز، فدائماً تجتاحنا نوبات الضحك  
الهستيري عندما نشاهد تلك الصورة التقليدية "العفريتية"  
السالجة التي تتخيلونها بها. أرجوكم انسوا من أكون، من أي  
جنس وأي أصل، ما يهمني هنا هو أن تشاركوني قصتي  
وأحاسيسي وحسب. وأشكركم مقدماً لفهمكم..

ولأزيل بعض الفضول الذي أراه في أعينكم فأنا شكلي عادي  
جداً، حالي حال أي جنّي. ولو أن أُمي تبالغ أحياناً في  
تدليلي والتغزل في جمالي فأنا وحيدها وبلوعها. لا تسألوني  
عن التفاصيل، فقد فشلنا وفشلتم طوال آلاف السنين في نقلها

فمع إتمامي لدراستي بتفوق والمجد، والتحاقني بأحد أكبر  
المراكز العلاجية (المراكز الطبية على حد تعبيركم) كمتدرب ومن  
ثم كموظف براتب محترم بدأت أمني استوائتها اليومية التي لا  
تفتأ ترددها على مسامعي كلما رآني:

\* يا حوجن فلانة تصلح لك.. يا حوجن شفت لك وعده  
ري القمر.. يا حوجن شعانه ما تنموض.."

وأنا أتجرب منها بلطف، فلا أعتقد أنني سأقبل بالزواج  
التقليدي، ولا أجد رغبة في الالتقاء من بين المرشحات من بنات  
أعمامي وعماتي وأخوالي وخالاتي (أشأن وتسعون فتاة  
نصفهم لم يتزوج بعد)، أعلم أنه لو كان والدي على قيد الحياة  
لحسم الموضوع لصالح إحدى بنات أعمامي، لصالح جماري  
بأنات ابنة عمي سنوطل أكبر أعمامي، وذلك هو المستحيل  
بعينه! فأعمامي قد توغلوا في أمور الشعوذة والسحر الأسود  
ووقعوا عقوداً مع أكبر تجمعات المردة وسحرة الإنس، وأعوذ  
بالله أن أسلك مسلكهم! كان والدي رحمه الله هو الوحيد الذي  
شدّ عنهم لرفض العمل في مجال خدمة السحرة التي تدر  
أضعاف المكاسب إذا ما قورنت بمهنته المتواضعة التي  
بالكاد تظعنني وأمي، بل واختار الزواج من أمي التي تعتبر

بدقة إلى مخيلتكم، ولكنني أتعلم في أن تتضح ليكم جوانب  
من حياتنا وطباعنا وأحاسيسنا نحن الجن، التي قد  
تستكرونها إذا قلت لكم أنها لا تختلف كثيراً عن طباعكم أنتم.  
فنحن مثلكم تماماً نأكل ونشرب وننام ونفرح ونحزن ونزوج  
وننجب و.. نجباً

من خلال احتكاكي البسيط بكم (يا إنس) لاحظت أنكم طالما  
تكررون نفس السؤال الذي يحمل بعض الساذجة الجن  
يفعلون كذا؟ الجن يفعلون كذا؟ معقولة؟؟ وأعلم أن نفس هذا  
السؤال سيتكرر خلال سردي لقصتي، لذا أحب أن أجيبه  
مسبقاً وأكرراً نعم نحن مثلكم..! أولم نسكن معكم هذا العالم  
بصفتنا الكائنات الوحيدة العاقلة المكلفة بغيركم؟ أولم نعبد الله  
ونطيع الويل مثلكم؟ فلم إذا نتخيلون مجتمعنا بهذه السطحية  
الطربالية؟

نعود إليها.. سوسن.. سوسن اسم من أسمائكم، لم لاحظته  
قط إلا بعد أن عرفتها، وعرفت أنكم تطلقونه على تلك الزهرة  
التي أدمنت استنشاق عطرها من حوض الأزهار التي تعتنى  
بها على نافذتها. وقبل أن أتابع معكم أحداث روميرو وجولييت  
دعوني أقص عليكم القليل مما سبقها.



إلى مقر عملي. ولم يضايقتنا أبداً وجود ذلك البيت بل بالعكس  
خصصنا سطح البيت لجدي المريض وأنا سكنت إحدى غرف  
المنزل أما أمي فكانت تمضي معظم الوقت بين رعاية جدي  
والصلاة تحت سلالم البيت.

حتى جاء ذلك اليوم..

فبعد عودتي من العمل لاحظت سيارتين أمام الفيلا وكان ذلك  
يعني لنا شيئاً واحداً.. أن البيت أصبح مسكوناً!!

تجولت بسرعة في أنحاء البيت فوجدت أمي تحت سلم البيت  
تبكي وتندب حظها.. قلت لها مهدناً:

"ولا يهيك يا أمي، بكرة نجهز أنفسنا للانتقال لقرية  
عنانوه أو الهندية، أنا ادخرت مبلغ و.."

"لا تقوليها!! مستحيل أترك هذا المكان!! مستحيل  
أترك راحة أبوك.. مستحيل أموت في غير المكان الذي  
عشنا فيه سوا!! ويعدين يا حوجن لا تنسى إنه جدك  
كبير ومريض وما يستحمل تعب النقل!!"

من آل النفر (سلالة النفر الذين استمعوا للقرآن من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم) المعروفين بأخلاقهم والتزامهم على عكس  
عائلة أبي، وكان من الطبيعي يعد وفاة والذي أن أتربى في  
كنف أمي وجدي.

ونحن من الجن المستأنسين، أي أننا نسكن ونتأقلم بين  
المجتمعات الإنسانية على عكس معظم التجمعات الجنية الأخرى  
التي يضايقها وجود الإنس بالجوار فتفضل السككن في  
مستعمراتها الخاصة بعيداً عن المدن والمساكن الإنسانية. منذ  
ولادتي وأنا أسكن هنا، في هذه البقعة التي كانت تبعد قرابة  
العشرة كيلومترات شمال مدينة جدة التي شخصت لتحتل  
معظم أجزاء قريتنا، فهاجر من القرية من هاجر وبقينا أنا  
وأمي وجدي مع من بقي في نفس المكان، وقبل خمسة أعوام  
بدأتم في إنشاء إحدى مشاريعكم الكبيرة ولم تمر بضعة  
أشهر حتى تحولت الأرض من حولنا إلى مجمع سكني هائل  
يضم عشرات القلل الصغيرة ووجدنا أنفسنا في إحداها، بقيت  
تلك الفيلا خاوية لما يزيد عن عامين، ازداد من خلالها اطلاعي  
على مجتمعكم عن كثب، ففي السابق كنت لا أميل إلى  
الاحتكاك بكم ولم يدفعني فضولي لذلك بالرغم من أنني  
كنت أقطع مدينتكم بأكملها زهاباً وإياباً كل يوم للوصول



وربية من الخجل عند احتكاكها بالناس فعن يراها يخالها طفلة لم تتعد التاسعة بابتسامتها الصافية ووجهها المثلج ووجنتيها الحمراوين طوال الوقت. ذلك الخجل جعلها تتحاشى الاندماج في محيطها وتعتل إلى قضاء معظم أوقاتها بين كتبها.. أو أهلها.. أو.. بمفردها مع أزهارها.

كم تأثرت بنظرة الدكتور عبدالرحيم وهو يرى حلم حياته يتحقق أخيراً بامتلاك تلك القبلا الصغيرة (فيلتنا سابقاً)، فقد أمضى عقدين من عمره في تلك الشقة ينفي إيجارها ويجمع القرش على القرش ليمتلك بيت أحلامه. كان يجول بنظره في تلك القبلا ويخيله حائر بين السعادة والعجب، فرجل مثله حاز على أعلى الدرجات الأكاديمية وتبوأ أعلى المناصب في وزارة الصحة عانى كل ما عانى ليمتلك منزلاً متواضعاً لا يرقى أبداً لما كان يتبادر إلى أحلامه وأحلام زوجته طوال أربعة ومشربين عاماً

"بابا.. بابا هذي الغرفة عجبتني..!!"

أعادت سوسن من بحر خواطره بتلك العبارة وهي تشير إلى آخر غرفة في الممر.. إلى غرفتي.. سابقاً

كنت أعلم أنه لا مجال للنقاش مع دعوعها ونكري والدي، فمسحت بيدي على وجهها وقلت ملطفاً للموقف:

"إش يضرنا وجودهم؟ إحنا في حالنا وهم في حالهم.. وبعدين لا تحكمي عليهم قبل ما تشوفي أخلاقهم.."

نحجت كلماتي في تهدة بعض روعها فاستأنفنا:

"خليني أشوف خبرهم وأرجع لك"

كان ذلك أحد الراغبين في شراء القبلا، الدكتور عبدالرحيم سعيد، رجل جمع بين العلم والمصامية والوقار الذي خطه ذلك الشيب على شعره ولحيته الأنيقة، وحرمة السيدة رجاء الحاصلة على الماجستير في التربية وتدير إحدى المدارس الثانوية، وابنهم الشاب هتان الذي شارف على إتمام دراسته الثانوية، وابنتهم.. سوسن.

سوسن طالبة في كلية الطب، تسعى لتحقيق أحلام والديها بالتفوق المذهل في دراستها والمحافظة على معدكها الذي ندر أن يناله أحد في تلك الكلية، بالذات في آخر سنواتها. بالرغم من جديتها المفرطة في دراستها فإن سوسن تتحول إلى كتلة

قبل أن أستوعب الأمر كان الجميع في غرفتي بعد أن سيقتهم  
سوسن إليها..

"هنا مكثني وهنا سريرتي وهنا أرض أحواس  
الزهور.."

كانت سوسن تهتف بسعادة شاركها فيها الجميع.. عداي.  
راقبت الجميع وهم ينصرفون وفهمت من حديث الدكتور  
عبدالرحيم مع السمسار أنه سينتقل للعيش في القلا في  
غضون أسبوعين فقط.

(2)

كلمتي الأولى لابتعة الإنسان

اضطريت لآخذ إجازة طارئة، أمضيتها ما بين تطيب خاطر  
أمي المسكينة، ومراقبة أفواج العمال الذين بدأوا بتجهيز  
البيت، دهان الجدران، تغيير الإضاءة، ترتيب الأثاث. أنتم يا  
بشر مهووسون بالكماليات، نحن نبنى بيوتنا في أيام، وأنتم  
تمضون نصف أعماركم في بنائها، والنصف الباقي في إتمام  
إكسسواراتها، كنت أراقبها، زهرة تلك الأسرة، سوسن. كانت  
تقفز بين جنبات غرفتها الصغيرة. وكأنها ترقص بين شرفات  
قصر أسطوري، تحمل قصاصاتها الملونة، وعينات الفضة  
الستائر، وصور الأثاث، الأثاث الذي وضعت أولى لمساته  
بيديها.. حوض أزهارها.

انتقلت الوالدة إلى سطح المنزل بجوار جدي، ولضمت أنا أن  
أقضي معظم الوقت في الفناء أو في المخزن، المتشددون من  
الجن بحرمان العيش في بيوت الإنس. ولكننا نتبع الراي  
المعتدل الذي يبيع العيش معهم، أقصد معكم طالما لا يضر  
أحدنا الآخر. في الواقع أنا لا أملك الخيار هنا فأني لم ولن  
تقبل بترك هذا المنزل مهما حاولت إقناعها، ولم ولن أجري على  
تركها مع جدي. سميت لي حياتي بينكم الكثير من الارتباك  
في يادئ الأمر، كنت أحرص على أن اتغادي الاحتكاك بكم  
(من طرف واحد بالطبع). كنت أحترم جميع خصوصيات تلك

كنت دائماً أعتقد أننا - معشر النجى - لدينا ما يكفيننا من هموم، ولنا حاجة إلى المزيد من همومكم وتعقيداتكم يا إنس. ولكن سوسن.. التي لم أرها في حياتي إلا ضاحكة مبتسمة، وكأن عضلات وجهها لا تتقن سوى رسم تلك الابتسامة الطفولية المكسوة بالبراءة وحمرة الخجل.. رأيتها اليوم تبكي وتشق بشكل أثار شفقتي وفضولي، ما الذي يمكن أن يُبكي هذه الطفلة؟ من الذي يمتلك ما يكفي من القسوة لمحو تلك البسمة الملائكية؟ نصف ساعة مرت وأنا جالس في انتظار الفرج، ويكاه سوسن يخبو، ويتحول بالندريج إلى شقيقات بلا حبيب، ثم إلى بكاء صامت لا يقاطعه سوى أنفاسها المحشوقة التي تلتقطها مكروهة بين اللبنة والأخوى. ألغمني صوت طرقات الباب من خلفي.. هذه السيدة رجاء تسأل بلهفة:

"سوسن؟ سوسن! إيش حصل؟ سوسن؟ افتحي يا

هبت سوسن، التي كانت على استعداد لأن تتحمل كل الأم الدنيا ولا أن تتحمل لوعة أمها وأبيها عليها. استطاعت بمهاورة ادعشتني أن ترسم الابتسامة التي اعتادت عليها عضلات وجهها رغماً عن أنف كل ذلك الحزن الذي لم يتبق منه سوى

الأسرة، ونادراً ما أبقى في نفس الغرفة مع أي منهم. لا أعتقد أن أياً منكم أحس بهذا الشعور من قبل. شعور طاقية الإخفاء: أن ترى شخصاً يراك، أن تحمل هموم الدنيا وبجوارك شخص يضحك على مشهد كوميدى في التلفزيون.. أو أن تستيقظ من نومك فجأة على صوت شجار عائلي محتدم لا يخصك، أو أن تضطر إلى مغادرة الغرفة عندما تدخلها إتسية، وتتسأل خارجاً من الباب قبل أن تغلق خلفها.. وهذا ليس مجرد مثال، وإنما موقف حصل لي بالفعل. فقد كنت أحن أحياناً لغرفتي.. أقصد غرفة سوسن، فنخذ فيها قبلواتي بعد عودتي من العمل، نوبتي كانت تنتهي الساعة الثامنة صباحاً فأصل في الوقت الذي تكون فيه سوسن قد غادرت لجامعتها، وفي ذلك اليوم كنت منهكاً بالفعل، وغصت في نوم عميق وفجأة دخلت على سوسن راكضة باكياً، وأغلقت بابها خلفها بسرعة وفورة، فلم أستطع أن أخرج. واضطرت للجأوس في غرفتها.

جلستُ القرفصاء بجوار الباب، في انتظار أي أحد ليفتحه لأبدر بالخروج.. ومثال انتظاري.. كانت سوسن تبكي بحرقة على سريرها، دفنت رأسها في مخدتها، وأنسايت دعورها نسقيها..

"من جد؟!.. وإش سويتني؟"

"اضطريت يا ماما أنقل إجابات قرح صاحبتي.."

اتسعت عينا أمها لأخضرها وهي تصرخ:

"إيبيبش!"

واصابت سوسن في مكر وحزن درامي مصطنع:

"ركنشنا الدكتور! وأقدم أوراقنا للعصادة،

واعطوني إنذار بالفصل و.."

قاطعتها أمها بعد ما بدأت تستوعب خداع ابنتها:

"سورسسسس!"

انفجرت سوسن ضاحكة مداعبة أمها:

"إش أسومك يا ماما إنت بتخلي من الحبة قبة، كلها

شوية زكام وطلعتيني يا بكي وأولول!"

قالت لها أمها غي مداعبة حازمة وهي تعيد خصلة من شعر

سوسن غطت عينها إلى مكانها:

انتفاخ عينيها واحمرار أنفها، أخفت المخدة المبالاة تحت المخدة  
الأخرى، سحبت منديل لتمسح أنفها وفتحت الباب وهي تقول  
وينبهرة تستحق عليها الأوسكار على إطفاء البكاء بالزكام  
الوهمي:

"نعم يا ماما، نعم.."

فتحت الباب، وبادرتها أمها بنظرة قلقة مرتابة:

"سوسن! إنت بتبكي!"

أردت أن استغل الفرصة وأبادو بالفوار من الغرفة قبل أن  
أحس فيها مرة أخرى، ولكن فضولي غلبني، فوقفت قرب  
الباب أراقب الموقف، وأراقب ممثلتنا البارعة وهي تقول بلهجة  
مسرحية وبجوزن مقتعل ساخر:

"ماما إنت ما عرفت إش حصل اليوم في الكلية؟"

جلست على طرف السرير، ونصاعد قلق أمها وهي تقول:

"خير يا بنتي إش حصل؟"

"طلع عندي اختيارين ما كنت داية عنهم.. وكل

البنات والأولاد حلوا كويس وأنا خبعت.."

مرت الايام بيرونيية، كل يوم يعطينا على الوضع أكثر من سابقه، وكانت سعادة سوسن وأهلها بمنزلهم الجديد تزداد، اعتقد أن هذه العائلة اجتماعية بالفطرة، فعما لبث بيتهم أن تحول إلى نقطة التجمع المفضلة لمن حولهم، فمن التجمعات العائلية كل خميس وجمعة، إلى جلسات هتان وأصدقائه على البلوت والبلادي سنش والأفلام والقليل من المذاكرة، وأخيراً سوسن وصديقاتها وجمعات الودودة ومناقشة مستجدات الميوزك والفانك.

الكل كان سعيداً بتلك الجمعات، باستثناء الوالدة، كانت كلما اكتظ البيت كلما ازدادت توتراً، وازدادت أنا تطيبياً لخاظرها.

لاحظت خلال تلك الجمعات أقصد جمعات سوسن- أن إحدى صديقاتها لا تأتي إلا ورهيقها شنوش معها، شخص مبتذل تفوت نقاطه وجهه خبثاً ومكراً، كان يرمقني شذراً كلما عبروا الفناء أثناء سقوئهم وخروجهم، تسببت أن أوضح أن شنوش هو جنني ساخر أدمن هو الآخر جمعات سوسن وصديقاتها.

لم آيه كثيراً بعد يدور بينهن، حتى جاءت تلك الليلة الباردة التي شق سكونها صوت صراخ انطلق من غرفة سوسن، فقفزت على الفور مختلساً النظر من نافذتها نصف المفتوحة

"دائماً تسويها في أهلك.. أنا حاوريك شغلك يعني..  
يلا غيري ملايسك وانزلي ساعديني في تجهيز  
الفدا"

خرجت الام ويادرت أنا بالخروج قبل أن تغلق أم سوسن الباب، وألقيت نظرة أخيرة على سوسن، على عينيها التي عانت تقذف الدموع الساخنة التي استطاعت أن تحبسها عن أمها بأعجوبة.

يا ترى حالي يحرزك يا سوسن؟ أول سبب قد يخطر ببالي هو السبب الذي يبكي كل البنات في سنها: أزمة عاطفية..! اعتقد انها كأكثر الفتيات من حولها قد جرحها الشاطر حسن الذي كانت تحلم به أميراً ينتزعها بذراعه المفتول ليلقي بها خلفه على حصانه الأبيض لتكتشف أنه ليس سوى نذل آخر يلقي بها من ميموري هاتفه وقائمة ماسنجره لتفصح المجال للمزيد من المغفلات.. تتكرر القصة معك يا بنات الإنسى، كل يوم وكل لحظة وأنشئ مهووسات بفراطفكن، لا تتعين من أحلامكن، وأكثركن حظاً هي التي يصعبها ذكاؤها لتقنيد الأدمي من النذل، ويثماصك حياؤها وكراستها إلى أن نجبره على أخذ الأمور بجدية والقدوم لطرق الباب.



"أقول خليك في حالك يا ملقوف، تدافع عن الإنسان  
وهم أساس البلاد هؤلاء هم اللي يتوجوني أجيبهم  
والعب معاهم.. أسألهم لو مش مصدقاً"

وقرّ بسرعة تاركاً ملق البنات وخبرتي خلقه. اندفعت خارجه  
تجاهي وهي تقول:

"تعالوا يا بنات لازم نصرفها!"

لحقت بها أريج وبقيت سوسن بجانب رهنه تهدئها. رابتين  
يتجهن نحوي وينظرن تجاهي، فأصابعني الرعب! فلأول مرة  
أشعر أن أحداً منكم يراني، ولكنني اكنشيت أنهن كن يتجهن  
إلى تلك اللوحة المعلقة تحتي ووضعيت كل من خلود وأريج  
إصبعها على ذلك القرص البلاستيكي على اللوحة، وبدأت  
خلود تقول بصوت لا يخلو من التوتر:

"مع السلامة.."

نحول توتوها إلى خوف وهي تكرر:

"مع السلامة.. مع السلامة..!"

لا أجد صديقتها رهنه تبكي بشكل مستيري والبنات يحاولن  
تهديتها وشنوش مستلق في وسط الغرفة وغارق في الضحك.  
لم أفهم الموقف مطلقاً ولكنني لم أتمالك أعصابي فهجمت على  
ذلك الدن: صارخاً:

"إش سويت للبت يا خسيس؟!"

أجابني وهو يحاول التعلّص من قبضتي دون أن يتوقف  
ضحكه المستفز:

"هلا والله بالجني المطوع.. جاي تدافع عن بنات  
الإنس؟ خايف يحرموك من بقايا الأكل اللي بمرورها لك  
في الزبالة؟"

لم أتمالك أعصابي وأنا أعصر جسده الهزيل:

"لو أشوقك هنا مرة ثانية والله لأفكلك!"

أغلث الحقيير من قبضتي ولمر إلى النافذة وحقني وقد نحولت  
ضحكاته إلى ابتسامة ساخرة وقال:

"مع السلامة! مع السلامة!!!"

أعرف أن الاحتكاك بكم حرام لا محالة، ولكنني في ذلك الموقف لم أستطع أن أصنع نفسي من التدخل لتهدئة الوضع، وجدت نفسي أمد يدي لا شعورياً تجاه القرص على تلك اللوحة التي تراصت عليها حروف إنجليزية مع أرقام، وصورتني الشمس والقمر وبعض الكلمات: yes, no, goodbye. ففهمت أنهم يريدون إنهاء اللعبة فبدأت بتحريك إصبعي على القرص.. مع خلود وأريج.. وزعمت أكثر حين عندما تحرك وبدأ يحوم على اللوحة مع حركة يدي.. وحركته تجاه عبارة goodbye وحالما وصلت إلى هناك سحب يدي بسرعة وكأنها خشيت أن يصعقني ذلك الشئ إن استمررت بتحريكه. وشعر الجميع بالارتياح إلا أنا!

اعتقد أنني تزعجت أكثر من رها ففرت نحو الشباك وهدت إلى المخرن بسرعة. لم أتم طوال النهار، لأول مرة في حياتي أحسك بكم يا إنس بشكل مباشر، لا أعلم إن كان ما عملته حرام أم حلال، ولم ولن أجري أن أبين ذلك للوالدة. ولكنه شعور غملاً غريب.

كررت معها أريج وهي تحاول تحريك القرص تحت إصبعها المرتعش:

"مع السلامة.. مع السلامة يا دليمه...!"

شهقت رها وهي تراقبهن، توقف بكاؤهما فجأة وهي تقول بهل:

"شفنوا! شفنوا! الجنية اتلبستني! أنا اتلمست.. هي قالت رج تلبسني! أنا اتلمست!!!"

وسوسن تحاول تهدئتها:

"يا شيخة قللي أعوذ بالله من الشيطان، هذا كله لعب وكلام غامضي، مفعول وحدة عاقلة ومؤمنة زيك تفكر كذا؟"

ولكن رها استمرت تردد:

"أنا اتلمست!"

وكانت عصبية خلود تزداد وهي تهز ذلك القرص أسفل مني وتكرر مع أريج:

تسعون عاماً وأنا أراقبكم ولا أكار أشعر بوجودكم.. واليوم  
تواصلت معكم وبشكل مباشر. قلت لكم كلمة واحدة مع  
السلامة! وقربت ألا أقول غيرها!

(3)

وأخيراً عرفتيني يا سوسن!

لم أتمالك نفسي.. فسافرت على الفور إلى الهندية ( إحدى قرانا في شمال البحر الأحمر) لآسأل صديقي غرمان عما حصل في تلك الليلة.. غرمان حكيم جاوز عمده الثلاثمائة عام، وله معكم يا معشر الإنس عشوة طويلة وخيرة بحكم تنقله بين الكثير من بلدانكم وتعايشه معكم، حكبت له ما حدث معي ليلة السارحة فقال متعجباً:

"هذي لعبة الوبجا! معقول عمرك ما سمعت عنها؟"

"وبجا؟ لا والله ما سمعت عنها.. لعبة؟ معقول؟"

نول كانوا مرعوبين وأنا كنت مرعوب أكثر منهم!"

ضحك غرمان وقال:

"هذي لعبة قديمة بيننا وبينهم.. ياما لعبناها"

"معقول سويسن وصاحباتها يعرفوا يحضرونا؟"

"يحضرونا؟ ياخي ليس تكبر الموضوع؟ المسألة

أبسط من كذا بكثير.. في الوبجا إحنا ما نخشك بهم

يمشك مباشر.. أسمع يا حوجن، صحيح البشر

محصورين في بعدهم الطيني، لكن أرواحهم تحس

بكل الأبعاد، لكن قليل منهم يميزوا هذا الإحساس، كل اللي بيحصل إنه يا اجتماع البشر وتوحيدهم تزيد شفاهيتهم الروحية، وبالتالي يزيد إحساسهم بجركتنا ويحركوا حضريو الوجودا معنا.."

"يعني شنوش كان مفهمهم إنه جتية وبيتبس صاحبهم.."

"بدون شئ.. فيه كثير هوايتهم التسلية مع الإنسان.. وتلاقية كل مرة يالف لهم حكاية جديدة.. وهم يصدقوه.."

عدت من الهندية وفي خاطري هاجس وحيد لم أستطع مقاومته.. معقول أستطيع أن أتواصل مع موسي؟ بدأت تلك الفكرة تسيطر على بالي، وكلما نقضتها تعاودني وتتملك وجداني بشكل أكبر، بالذات عندما أراقب موسي قبل أن أخلد للنوم كل صباح وهي تسقي أزهارها وتخفي لها وتكلمها.. ليتني زهرة على نافتك يا موسي.. أحيا على عذب نايك وأغانيك وهمساتك..

"حوجن؟ اش فيك مسرّح؟"

بتر صوت أمي من خلفي سيل خيالاتي.. فأنجبتها مرقبكا:

"أمي؟ مافي شئ.. عادي.."

"حالك مو عاجيني يا حوجن، من يوم ما سكناوا الإنس بيتنا وإنك كل يوم تسهر لحد الليل.. قاعد تحوم حولي بئتهم.. ما يصير!"

"يا أمي إنت عارفة إنه هذا بيتنا قبل حتى ما يولدوا وهو سهل أبعد عنه فجاء بعد كل هذي السنين.."

"حوجن، أنا أمك! لا تقعد تلف وتدور! ما يصير فكشف على عوراتهم في بيتهم، أصحك يا حوجن تقرب منهم.. أصحك! برضاية عليك يا حوجن.. أبعد عنهم..!"

"إش تقولي يا أمي.. من جدك؟ طبعا مستحيل أقرب منهم.. إحنا ناقصين مشاكل الإنسان فوق مشاكلنا!"

لم يهدئ كلامي سوى القليل من قلق أمي وهمومها، ولكن كلامها أشعل كل قلقي وهمومي! معقول؟ هل تعلقت بإنسية؟

انقذت نفسي، أو بالأصح أوهنتها أن القليل من الاهتمام والفضول والإعجاب لا تضر، وفي نهاية المطاف كل واحد منا في حاله، في عالمه المخفي عن الآخر، يكفي أن أراقبك يا سوسن من بعيد، أستمتع وأستمتع بفنانك لأزهارك.

اه، ولكن ما يمزق خاطري هو أنها لا تشعر بي. لا تدرك أنني موجود أصلاً انقطع حبل خواطري وأنا جالس في غرفة سوسن الخالية بين سريرها ومكتبها عندما انفتحت بابها بشدة، ودخلت سوسن وأغلقت الباب خلفها بتوتر، وأسبعت ثفتيح كمبيوترها وشغ في أسطوانة أخرجتها من حقيبتها. انتقل توتر سوسن وقلقها إلي وأرغمني فضولي مرة أخرى على أن أفك خلف كرسيها وأراقب شاشة الكمبيوتر.. ظهرت صور سوداء على الشاشة استطعت أن أميز فيها مقاطع لدماغ بشري، وذلك بحكم دراستي حيث أننا نتطرق إلى دراسة التشريح البشري في مناهجنا. قلبت سوسن الصور المقطعية للدماغ وظهت تلك البقعة الباهتة التي لا تعني سوى أن صاحب ذلك الدماغ مصاب بورم مميت. التفت إلى سوسن عندما سمعت صوت بكائها الصامت، وكأنها تخشى أن يشاركها أحد مرارة أحزانها..

لا لا مستحيل..! أنا الذي عرفت مئات الجنيات نوات الحب والألب والجمال ولم تحرك أياً منهن ثوة من مشاعري.. أجلس تحت شرفة هذه الإنسية وأتأوه على غنائها لأزهارها!!

مفقول؟ بعد أن كنت أشفق على عشاق الإنس الذين ملأوا مجالس الرفقة والمصحات ليتعالجوا من تعلقهم بالإنس.. أصبح أنا واحداً منهم! تذكرت عبارة عمي عندما قلت لها:

"هل عشقت لذلك الإنسي يستحق أن تبعري حياتك وحياته؟"

"ياحوجن الحب ما يفرق بين الإنسي والجن."

حب؟ مفقول أكون وقعت في حب إنسية؟ مفقول أحبك يا سوسن؟

في عرفكم حب من هذا النوع يعتبر ضرباً من الخزعبلات.. حتى لو تجاوزنا الاختلاف الجذري في التكوين. مع استحالة التواصل، مع فرق السن الذي قد يشكل مشكلة بالنسبة لكم يا بشر (بالنسبة لنا هذا الفرق طبيعي.. فوالدي أكبر من والدي باشرين وثمانين عاماً).. لكنني أعود وأكرر مقولة عمي.. الحب فوق كل الفروقات!!



لا تخفيكم أنتي أصبحت آتحن الغرض لاتواجد بقرب سوسن، ولكني عاهدت نفسي أن أتخاشى الوجود معها وهي بمفردها احتراماً لخصوصيتها. وكنت آخون ذلك ألعبد أحياناً عندما اعجز عن مقاومة مراقبتها من بعيد وهي تمارس عاداتها اليومية بتدليل أزهارها.

وكانت تلك الليلة عندما خرجت سوسن بصحبة زميلاتها أويج وخلود إلى كوفي شوب على الكورنيش، وكالعادة تغلب علي فضولي فنبهتهم إلى هناك. ترددت وأنا أنساب خلف سيارة خلود وكنت أن أعود أدراجي عندما تذكرت كلام أمي، ولكنني استمررت في ملاحقتهم، وعندما توقفت السيارة عند إشارة مرور القربت من نافذة السيارة الخلفية حيث تجلس سوسن وصديقاتها واحتكست السج والنظر إليهن وهن يتبادلن الأحاديث والضحكات عن المواضيع ذاتها: الأولاد ومغامراتهم.. وحدة شبهت خلود التي كانت تجلس ناحية النافذة التي أنظر منها والتفتت نحوي مباشرة التفاتة أفزعني لدرجة أنني استجبت بسرعة.. سألها سوسن:

"خلود؟ بسم الله عليك إشي فيه؟"

"حسيت إنه فيه أحد يضال علينا من الشبان"

رأيت نهر دموعها يسيل على وجنتيها، ويهطل على الكمبيوتر وعيناها محدقتان في تلك الصورة على الشاشة. مدت يدي إليها، أعلم أنها لن تلمسها. مررت أنا على علي وجنتيها. حاولت محاولة متأكد مسبقاً من فشلها أن أمسح تلك الدموع. رأيت يدها تعبر خلال يدي وهي تمسح دموعها، انتفضت سوسن ونظرت خلفها وانتفضت أنا مع أنني أعلم أنها لم تشعر بي، ورأيتها تطبق جهازها بعنف وتمسح ما تبقى من دموعها بسرعة وتركض نحو باب الغرفة تفحه فقد أحسست بمقدم والدتها، خرجت أنا بسرعة والتفت خلفي لأرى سوسن وهي تظفر من أعماق حزنها إلى قمة المرح وهي نحاث والدتها.

هل يعقل أن يكون الدكتور عبدالرحيم مصاب بالسرطان؟ لقد لاحظت حديثه المتكرر عن تقدم السن والآلام التي يعاني منها. كنت أظن أن كل تلك أعراض طبيعية لشخص عاش نضالاً مريضاً لسنوات عديدة فقط كي يؤمن منزلاً لأسرته، ويرى أبناءه يكبرون أمامه ويستعدون لطوض معترك الحياة، كل من يصل إلى تلك المرحلة تبدأ لديه مواجهات الكبر. ولكن ثم أتوقع أن يكون الأمر بتلك الخطورة كل تقدير واحترامي لك يا أيها الدكتور المتاضل في زمن استنسد فيه السفلة والمتعلقون.

قاطعتها أريج بنبرة قلقة:

"أقول ربيحنا يا خلود.. نري معنا ناقصين  
خزعلاتك!!"

وتابعت سوسن:

"خلود نري من جد إنت بتتأثري بالأفلام اللي  
تشوفوها والمواقع اللي من راضيه تسيبها!"

لكن خلود كانت متأكدة أنها شعرت بشن ما.. شعرت  
بوجودي!

"والله !! أمزح معاكم.. من جد حسيت إنه فيه خيال  
واحد يطالع قينا واختفى فجأة!"

بدأت أريج تفقد أعصابها:

"بالله عليك لا نرعبيني.. يكفي اللي حصل لرفف ذلك  
اليوم.."

انتهى ذلك الحوار.. ولكن قلقي لم ينته، سمعت من قبل أن  
بعضكم يشعر بوجودنا.. وقد يرانا! يحسكي لم بعض  
أصدقائي أن أبناءهم يلعبون مع بعض أبناء الناس.

واليعض كان يحلف لي أن هناك أناس يروونه.. على العموم  
الحجاب الذي بيتنا لغز لا نعرف منه إلا الشيء اليسير.

نعود لسوسن وصديقاتها، تبعنهن إلى داخل الكوفي شوب  
الترحم، وبدأت اشعر بالتوتر وأنا محاط بهذا الكم من البشر  
وأصبحت متوجساً من كل شخص ينظر نحوي بعد أن  
ارعبتني خلود عندما اختفى من السيارة، لحسن حظي جلس  
البنات على طاولة بأربعة مقاعد، فجلست أنا على المقعد  
الخالي (إلا من حقائبهن، وانشغلت بمواقفة سوسن التي كانت  
تختلف عنهن، فهي لا تشاركهن ذلك التفكير السطحي وإن  
كانت تعاملهن بابتساماتها وإيماءاتها وفي عينيها حزن لم  
يلاحظه أحد غيري، لم تهمني مواضعهن إلى أن عادت خلود  
وفتحت سيرتنا.. أقصد سيرة الجن، أعلم أن فصص الجن  
محمل لكم الكثير من الإثارة والمتعة والخوف أيضاً، حتى  
أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حديث مجالسكم)

وكما ذكرت لكم في بداية سطوري فقد سئمت من المبالغات  
الأسطورية الخزعبلاتية التي تضيفونها إلى واقعنا فكل من  
يلعب ثوباً على حيل الغسيل يدعي أنه رأى شيخاً طائراً بلحية  
سضاء يشع المنور من عينيه، لكنني بالرغم من ذلك لمست

"Excuse me please"

فرء إليها أحد العاملين وتعجب عندما طلبت منه قلماً فناولها قلمه، وبدأت تخط الحروف والأرقام على تلك الورقة، كانت متأكد أن لوحة الوبجا بذاتها لا تحمل أي معاويز، وأن فكرتها قد نطبق بأي أسلوب.

انتهت خبيرة الجن خلود من تجهيز لوحة الوبجا البدائية، وجالت بعينها تبحث عن شئ ما، وابتسمت وهي تتناول قارورة الماء البلاستيكية من أمام أريج:

"عن إندك.. حاسنك غطا القارورة.."

"إيه تبغي تحليلي دنبوشي؟ وسعدين عمرك شفلي ووجا عربية؟ والله نطورنا.."

تجاهلتها خلود مرة أخرى:

"يللا يا بنات.. كل وحدة تحط صباغها.."

انحصر الفضول كعادته ووضعت كل منهن سبابتها على الفطاء المقلوب على الورقة، وقادت خلود الجولة وهي تقول:

"فيه أحد؟ فيه أحد؟"

الصدق في كلام خلود وهي تحكي قصصها والمواقف التي حصلت لها شخصياً، فقد كانت جميعها منطقية بالنسبة لي على الأقل. ومع اندماج سوسن وأريج مع قصص خلود فاجأتهن قائلة:

"إش رأيكم نلعب ووجا؟"

فاجابت سوسن بفضول:

"من جد؟ إنت جبنيتها معاكي؟"

واعترضت أريج:

"أقول يا خلود روقيفا الله يخليك ! أنا ملكتي بعد شهر وماني مستعدة أقابل ابن الناس وأنا ملموسة!"

ولكن خلود تجاهلتها وهي تقول:

"مو لازم أجيب البورد معايا، الجن موجودين في كل مكان ونقدر ندردي معايم وقت ما نحب..؟"

قالتها وأزاحت أكواب القهوة لتنتشل الورقة التي يفترض أن تكون وضعت كغطاء للطاولة، قلبتها على الجبة البيضاء ونادت:

اعتقد أن فضولي تقهر هذه الحرة أمام رغبتي منكم.  
واحترامي لوعده والدتي..

"فيه أحد؟ فيه أحد؟"

كررتها خلود.. وشاركتها أريج هذه المرة..

"شكلهم الجن مقاطعين ستاريكس!!"

قالتها سوسن فضحكت أريج وضحكت أنا معها.. ولكن خلود  
استمرت بإصرار:

"فيه أحد؟ فيه أحد؟"

هذه فرصة قد لا تتكرر، استطيع أن أتحدث إلى سوسن..! أن  
أخبرها من أكون، أن أخبرها أن عينيها أذابت الجنا وغناها  
أسكرهم!!

"على قولك شكله فعلاً مافي جن هنا غيرنا"

قالتها خلود بعد أن يئست، فباصرتها أريج بعد أن رفعت  
إصبعها:

"يا شيخة إنت من جدك مصدقة هذي الخزعات؟"  
كله شيزوفرينيا يا عاما.. الجن مو فاضين لنا! هاتي  
غطا القارورة بس، شكله صار مدبش!.. بيفالي  
أشرب خطيبي من هذي القارورة عشان يطيح في  
بهاديبي أكثر.. ويشوف البخات الباقيين كلهم شبه  
عندي..!"

مددت يدي لا شعورياً إلى يد سوسن، كعن يتلفف التحفة  
الكريستالية الثينة قبل أن تسقط، ولكنني لم ألقها.. رفعت  
أناملها بل أن أصلها، فبغت يدي ويد خلود، حاولت جاهداً  
أن أحرك ذلك الغطاء تجاه كلمة (نعم).. حاولت وحاولت ولكن  
الغطاء لم يتزحزح..

"باينات لازم نقول مع السلامة إعتباط.. يمكن فيه  
جني كذا وللا كذا؟ من جد ما بامزح..!"

نجاهلتها أريج التي انشغلت بالرد على اتصال خطيبها بدلال،  
ومدت سوسن يدها، فخفق قلبي (نعم عندي قلب) بعنف وعدت  
أحرك الغطاء بأناملي المرتعشة.. فتحرك..! تحرك الغطاء  
مثنائلاً تجاه كلمة (مع السلامة).. فاندحشت خلود وسألت  
على الفور:

"فيه أحده؟"

حركت الغطاء تجاه كلمة (نعم) فترنح قليلاً على الورقة بين الحروف إلى أن شق طريقه نحوها..

ابتسعت خلود واتسعت حيناً سوسن وفقرت أريج وأنهت مكانتها:

"أقول لؤي اكلمك بعدين ياي.."

أقلت هاتفها.. وهي تقول:

"بتمزحوا! بلاش المزح للرؤيل دا!"

أجابتها خلود:

"عطني صباغك معانا بسرعة.."

وضعت أريج سبابتها على الغطاء.. فأحسست أن حركتها أصبحت سلسة.. وبدأ يطفو على سطح الورقة فوق كلمة (نعم)..

أعزائي.. أنا الآن أتكلم مع سوسن.. لأول مرة في حياتي..! ياترى ماذا أقول لها؟ أقول لها أنني جنني؟..

أكبر سناً من جدّها الذي توفي قبل خمسة عشر عاماً؟ وأسكن مع أهلي في بيتنا؟!! ياله من موقف! ليتني لم أضع إصبعي.. لولا أنني خشيت أن أصيبهم بالهلح كما حصل المرة السابقة لعدم إنهاء اللعبة لرفعت إصبعي على الفور.. سوسن ماذا أقول لك؟ ما الذي يمكن أن يثير إعجابك بي؟ لم تبهاني خلود الوقت لترتيب أفكارها:

"تذكر وللا أنشي"

حركت إصبعي فانساب الغطاء على حروف اللوحة:

"تذكر"

"إش اسمك؟"

هل أخبرك باسمي يا «سوسن» مستغربين.. وقد تضعكن.. هل استعير اسماً بشرياً؟.. لا يا سوسن.. إن أخبرك سوى الحقيقة!

"C و E و N"

"خوجن"

نُطقتُها أريج بضم الحاء.. فانصيح فعلاً عضطكنا فتحرّكت  
بسرعة نحو كلمة (لا) وعدت أوشب الحروف:

"ح و ج ن"

قالت أريج:

"ما قلنا لك حوجن يا أخي.."

قالت سوسن:

"يمكن حوجن مو حوجن.. زي اسمي"

أصبحت بالذهول..! يا لغباني..! لأول مرة أكتشف أن اسمي  
قريب لهذه الدرجة من اسمها.. لقد سمعت اسمي منها وكأنما  
أسمعه لأول مرة في حياتي، وكأنني ولدت لنفسي وأطلقت في  
علي هذا الاسم.. لقد عشقت اسمي.. نطقته سوسن.. خرج  
من بين شفتيها..!

أخرجني سؤالهن المشترك من احتفالي الذهني البسيط..

"اسمك حوجن؟"

غقت من ذهولي وتحركت على الفور نجاه كلمة (نعم) وضمت  
بالغطاء فوقها بمعادة ثم عدت مرة أخرى على الحروف:

"ح و ج ن س و س ن ح و ج ن س و س ن"

"الأخ طاح عندك.. جنية من يملك يا سوسن!"

عالتها أريج فتشارت إليهما خلود بالصمت، وعادت تستجويني:

"كم عمرك يا حوجن؟"

أخ! هذا السؤال الذي لم أكن أتمناه أبداً.. ماذا أقول الآن..  
قلت لهن العبارة التي افتتحت بها حديثي معكم:

"ش ا ب"

"90"

ضحكت أريج وهي تقول:

"ماهاي.. لوحة سيارة هندي وللا إيش.. والله هذا

الجني غلّا!"

حذرتها خلود بتوتّر:



"مسختها يا أريج.. هذا المزج ما ينفذ"

"ما عليك.. عندنا واسطة القبول فوند حقه سوسن.."

على قدر ما ضايقتني مزحتها الأولى، على قدر ما دغدغت مشاعري مزحتها الثانية..

واصلت خلود:

"عمرك تسعين سنة يا حوجن؟"

حركت الغطاء بخجل نحو (نعم) وقبل أن أصل مرة أخرى، نطقت سوسن أخيراً:

"متزوج؟"

تدخلت أريج:

"أكيد يا بنتي متزوج وعنده خمسين ابن وميتين

حفيد.. بيقول لك عمه تسعين سنة!"

قاطعت أنا أريج هذه المرة عندما حركت الغطاء نحو (لا) وقلبي يكتاد يقفز من الفرح، فسؤال سوسن يدل على أنها اقتنعت

بفتني لا زلت شاباً، أو هذا ما أحاول إقناع نفسي به فعدت يسألني بكل رقة:

"كيش يا حوجن؟"

ولثاني مرة أشعر أنني أسمع اسمي لأول مرة، ولكن يم أجيبي؟ انفتحتي أريج التي لا تكف عن المزاح:

"ليه؟ ما عندكم بنات جنيات خلوين زينا؟"

فأسرعت إلى (لا) ودرت عليها مراراً، فضحك وعُثبت أريج كمايتها:

"الحق يا سوسن البوي فريند حقت غزلنجي من أولها!! اسأليه يا خلود كيف شكله؟ فين ساكن؟"

انفتحت سوسن الموقف عندما أطلقت إحدى ضحكاتها الرقيقة وقالت:

"يا بنات لازم ترجع بيوتنا، عندنا محاضرات الصبح بدري.. نسيتموا وللا إيه؟"

وافقتها أريج:

"وكمان المطعم كله بيتفرج علينا كأننا البنات اللي في  
مسلسل إنشمانتتو.. نقوم بكرامتنا أحسن قبل لا  
ينادوا لنا الهينة.."

"مع السلامة يا حوجن"

مزقتني خلود عندما قالتها فأتجهت نحو (مع السلامة) ورفعت  
يدي، لتوقف اللطاء كالججر..

"خلاص؟ أقدر أعطي قارورتي.. سامعني يا لؤي!!"

لم البنات أغراضهن استعداداً للانصراف وقالت سوسن:

"أحسن نشيل الورقة دي لا يجي أحد يشوفها.."

أخذت السورقة ودسّنها في حقيبتها وترككتني في خليط  
مشاعري، بقيت في الكوفي شوب، وصونها الرقيق يتريد في  
خاطري عندما نطقت اسمي، يتكرر بلا توقف حتى أشرقت  
الشمس..

(4)

إياد.. كم أكرهك!

انتم (أيها الإنس) معقدون جداً في عواطفكم. اعتقد أنكم معقدون في كل شيء، واعتقد أنني أصبت بالعدوى منكم. الأمور عنينا مباشرة وسهلة، كلما حاولت أن أفهم تراكيبيكم العاطفية أفضل، تعيشون جنون العشق ولوعة الغرام طالما كان ذلك العشق خيالياً مستحيلاً. ويبدأ بالتلاشي عندما يتلاقى الحبيبان.. عندما يتعاشيان.. عندما تنتقل علاقتهما من رسائل واتصالات آخر الليل إلى مراع حقيقي مع الحياة! هنا يتحول الحب في أحسن حالاته إلى روتين ممل. إلى لسنة من الواجبات التي لا بد أن يؤديها الحبيبان، ويظللن يتباكيا على حرارة العشق القديم. أما العشق الأقل حظاً فيتحول إلى صراع وعناد وحرب ضروس للاستيلاء على مركز السلطة.. تنتهي عادة باليأس ثم الفراق. ولكنني في حالات نادرة ألاحظ أن هناك إنساً يعرفون معنى العشق الأبدى، الحب الذي لا يعرف الاثنية ولا تزيد الأيام سوى انقداً، من تلك الحالات الدكتور عبدالرحيم وزوجته السيدة رجاء، عندما أراه يفتح لها باب السيارة ويدلها بنظراته حتى تستوى على مقعدها كالأميرة، ويخلق بابها بركة كنه أحد نبلاء العصور الوسطى. أراها كل ليلة تدلك فقرات ظهوره أكثر من الليلة التي قبلها مع ازدياد ألامه، يا ترى كم سنة مرت وهي على هذا الحال؟

هذا بغيرك أمامي. آخر من تحدثت إليه قبل أن تذهبني إلى سريرك. وقد يكون المحفوظ الوحيد الذي توضحني له بما يحول يحاطرك. الوحيد! ولم لا يكون هناك محفوظ آخر؟ أوعيتني هذه الفكرة! فبعد كل القصص والمغامرات التي سمعتها من صديقاتك، بصعب أن أصدق أن هناك مواهقة تحيا بلا مغامرة. مهما كانت المغامرة سطحية تافهة عابرة. يصعب أن أصدق أن هناك فتاة تحيا بدون قصة مع فارس، أو حتى نذل! لكنك يا سوسن مختلفة! وما يدريك يا حوجن؟ هناك من البنات من تخفي علاقاتها عن أهلها لحنات! هذه الأفكار المزعجة ترويني. تشغل فضولي.. لا أنكر أنني تخليت - قليلاً - عن مبدأ الاكتفاء بالمرفقية عن بعد وبدأت أنطلق على شؤون سوسن الخاصة.

اسمه إياد..! هذا ما اكتشفته على الفور عندما اقتربت أكثر من خصوصيات سوسن. ففي تلك الليلة وبينما كانت سوسن تمضي ساعات الليل في المذاكرة بين كنيها وكيبوترها، ظهرت رسالة في ركن الشاشة من شخص اسمه إياد:

"سوسن إنت أولايين؟ كيفك مع المذاكرة؟ ما بارعجك.. بس إذا اجنحت أي شي تري أنا مسهران.."

اعتقد أن حباً حقيقياً كهذا جدير بأن يحتضن ملاكاً بركة سوسن.. أه.. عدنا إليك يا سوسن!

على فكرة.. بالرغم من أن سوسن نادراً ما تغادر خاطري، إلا أنني لا أراها إلا للحظات قليلة كل يوم، عندما تطل من النافذة لتداعب أزهارها، وعندما تعود هي من الكلية قبل أن أغادر أنا غرفتها (غرفتي سابقاً).

قبل أن تنتقل سوسن وأسررتها للسكن في هذا البيت كنت أنام عند الحائط المقابل للنافذة، أما الآن وقد اجتمعت خزانة ملابسها مكان نومي المفضل اضطرت لأن أغير مكان نومي وأصبحت أنام خلف الباب. أمضي وقتي عادة في المخزن الصغير في ركن الحديقة، أقاوم النوم إلى أن تنزل سوسن مع والدها ليوصلها إلى كليتها قبل أن ينطلق إلى مكتبه، فتأخير الفريسة وأصعد إلى غرفتها، أطارد ما تبقى من رائحة عطرها، أستمتع بشامل أغراضها كما تركتها قبل أن ترتيها الخاصة، سريرها، مكتبها، كوب الشاي الأخضر، ثم أتجراً يوماً أن أتدخل في خصوصياتها، يا ترى ماذا يخبرني كل ذلك الهدوء الملائكي يا سوسن؟ أتمنى أن أجول في خاطرك، أن أعرف فيم تفكرين، بم تشعرين، مالذي (أم من الذي) يشغل بالك؟

ويتسامجون مع كل طالبة، يظنون أن رجولتهم اكتملت ولا زالوا  
يلغزون مصروف البنزين والساندوتشات من أيانهم.

انضخت قراري بسوعة، ورافقت سوسن إلى الجامعة، لم تنم  
ليلتها بسبب انهماكها في العذكرة، ولم أقم نهاري بسبب  
التفكير والحساس، ذهبت ذلك اليوم مع السائق بسبب  
اختبارها المبكر، جالست في الخلف وجلست إلى جوارها،  
انهمكت في المراجعة، وانهمكت أنا في مشاهدتكم، كانت  
بالسبة لي تجربة جديدة، كنت أظن أنني الجنى الوحيد  
السهرا، ولكنني تفاجأت بكية الشياطين التي تستيقظ معكم  
كل صباح، لمحة الشوارع مسرح للكثير من المعاصري  
والصائب لا أعرف كيف تستحملون هذا البطء نصف ساعة  
كاملة في الطريق، أستطيع أن أقطع البحر وأعود في نصف  
ساعة! وصلنا أخيراً إلى الجامعة، وكما تخيلت، أولاد وبنات  
الانسان ينخبطون في زوينة التملق والتفنج.. كانت سوسن  
تحظى بتقدير كبير من زملائها وأساتذتها، كانت ألمع طالبة  
في الصف، استغلت تلك الساعات التي تقضيها زميلاتها في  
التكياج والإنترنت والأسواق والكافيهات والمكالمات، استغلتها  
في تحقيق هدف التفوق، لم استطع تعيين إياد، كنت أمشي  
خلف سوسن وأتفرس نظرات زملائها، وأقرأ ما يجول

لم ترد سوسن عليه، ولكنها ابتسمت ابتسامة أزعجتني، ثم  
عادت إلى مذكراتها، تلك النشامة السمجة المفضوحة من  
الشبان، التي لا يقدمونها إلا للبنات، والدلال والتقل المفضوح  
من البنات الذي لا يخفى أبداً على الشباب، لأول مرة أزعج  
من سوسن لأول مرة أشعر أنكم (يا أولاد الإنسان) أصبتموني  
بالعدوى وأصبحت "أغار" أغار من إنسي لا يتجاوز عمره ربع  
عمري اسمه إياد، قاومت الاعتراف بخيرتي من ابن الإنسان في  
البداية، بررت غيرتي على أنها قلق على سوسن من الوقوع في  
برائن "الأولاد"، وذلك العبرر سوغ لي الاقتراب أكثر من  
سوسن بحجة حمايتها، وبمراحة، (والكلام موجه لكن يا بنات  
الإنسان أنتن في حاجة ماسة للوقاية والحماية من أولاد  
هذا الجيل! أتذكر في طفولتي كيف كانت الإنسية ملكة متوجة  
مصونة، يحميها أبوها وأخوها وقريبها وابن جيرانها وحتى  
الغريب بدافع النخوة والشهامة والرجولة والدين.. تلك الدوافع  
معرضة للاقراض في جيل أصبح أبناؤه لا يبالون إلا بالله  
خلف غرائزهم على الرغم من هوسهم بفناوى الحريم والتحريم.

بعيداً عن كل هذا اللغط، وعدواً إلى قصتنا، لم أستعري ذلك  
المدعو إياد.. لم أبلعه.. لم ينزل لي من زور.. تخيلته واحداً  
من عشرات الطلبة الذين تعج بهم كلية الطب يعلقون

وقبل هذا كله.. شخص تستطيع أن تراه وتلمسه وتتحدث إليه وترتقي بين أحضانه..! لقد تعاديت في جنونك يا حوجن، دغ بنت الإنس في حالها..!

رويتي لإياد أيقظتني من حياقتي. تركت سوسن في الجامعة وعدت فوراً إلى البيت، جلست بجوار أمي، أراقبها وهي نائمة. ونست عند قدميها.

لم أتم نومة كهذه منذ فترة طويلة، نومة متواصلة بدون التفكير في سوسن. استيقظت بعد عدة ساعات، عقدت العزم على أن أعرض على والدتي مرة أخرى فكرة الرحيل من هذا المنزل، وقبل أن أفتاحها في الموضوع، لاحظت جلبة في البيت، في غرفة سوسن بالذات. وثلاشت عزيحتي ونفحة العقل التي انتابنتي أمام فضولي وعاطفتي. اقتربت من نافذة سوسن فوجدت صديقاتها حولها وهي مستلقية على السرير، فهبت من حديثهن أنها غفدت وعينها أشفاء الامتحان! انتفضت وتحركت نحوها لا شعورياً، حمت حولها، ابتسامتك يا سوسن لا تقطعي علي وإن اقنعت بها صديقاتك وأهلك.. أعلم أنك حزينة.. جداً..! ماذا حصل لك؟ لا أعلم لماذا لمت نفسي

بخطاؤهم، البعض يستلطفها، البعض يستجدي نبوغها، البعض يتسائل لم لا تقطعي وجهها بالمكياج كصديقاتها وتكتفي بالقليل من الكحل والروج الوردي الذي لا يختلف لونه عن لون شفاهها.. حتى سمعت أحدهم يهتف من خلفي:

”سوسن كيفك؟ جاهزة للامتحان؟“

عرفت أنه إياد قبل أن ألقت إليه من ابتسامة سوسن له ومرمزا لرأسها بخجل دون أن تجيب. شاب ”كول“ بكل ما تحمله الكلمة من معاني في قواميسكم، ليس من الشباب الذين خانتهم أذواقهم فتحولوا إلى مسوخ بالرغم من الملابس التي تسبق الموضة وجل الشعر، ولكنه مع وسامته وتلقائيته وبراعة ملامحه كان يعرف كيف يتحلى بالقدر الكافي من الأناقة. طويل، رياضي، يتعارض لون عينيه العسلي الفاتح مع سمار بشرته، وواضح من هذامه أنه مرفه مادياً، باختصار يعتبر إياد غنى أحلام مثالي وعريس لقطة لأي واحدة من بنات الإنس.

انظر يا حوجن، ماذا أصابك؟ تقارن نفسك مع إنسي؟! مع فتى يستطيع أن يحقق سعادتها وأحلامها؟ يستطيع أن يتزوجها؟ أن يعيش معها؟ أن يصبح أباً لثلاثتها؟..



ردت عليها أريج:

"أو كان قلتي قبل لا تروح المشعوذة حققتنا خلود...  
هي اللي تعرف تحضرهم!!"

صاحت سوسن وهي تقول:

"يخرب عقلك يا أريج.. خليتها مشعوذة؟ حرام عليك أ  
هذي كلها ألعاب نفسية.. الورقة اللي رسمنا عليها  
الأويجي في المطعم عندي تحبي نجرب شوية شعوذة  
على قولا؟"

هتفت رغد بحماس طفولي:

"إيوه بليز بليز نفسي أجربها.. مرره أكشن!"

ردت عليها سوسن:

"شوفي تلاقيا في الدرج هناك.."

استقلت أريج الفرصة للسخرية:

"شكلك البوي فريد حقا حنجن وحشدا"

"تصدق حوجنا!!"

على تركها في الجامعة. وكأني كنت ستمسك بعمل أي شيء  
لها!

قالت أريج لرفيقاتها:

"يللا يا بنات.. سوسن تعبانه ولازم تروحنا.. إحنا  
مسخفاها صرنا نحن الليل"

ردت عليها سوسن:

"والله ما تروحو..! خلونا نسهل مع بعض شويه، بكرة  
ما وانا شي.. إنشرو جندقتوا إنني مريضة؟ دا كله  
دلع.."

تدخلت أريج بمرح:

"من جلد؟ توي نصدق ونقلبها سهرة صباحي.. أنا  
نزلت شوية أفلام على كيفك!!"

وافقتها رغد:

"إش رأيكم نلعب لعبة الجن اللي حكيثوني عنها؟ مرة  
حماس.. نفسي ألعيا.."

استجابت رغد لسوسن فأرخت عن ضغط أصبعها، وتحرك الخاتم أخيراً بحركته باتجاه (نعم).. وظللت أتراقص عليها من مخرجتي وحساساتي..

رفعت رغد إصبعها عن الخاتم مذهولة مدعورة:

"إنّوا بتحركوها! احلفوا إنكم ما بتحركوها!"

عصرخت فيها أريج:

"يخرّب بيتك! حظي صباغك بسرعة لا نلتبس كلنا..  
يلا..!"

وصعقت رغد إصبعها.. ولم أستطع مقاومة المبادرة بالحديث مع سوسن..

"س ل ا م ت ك"

فرقتها يدهول، لم تفتح إحداهن فمها، فعزفت أنا الصمت بصوت تحرك الخاتم على الورقة:

"س ل ا م ت ك ي ا س و س ن"

قالتها سوسن بضحكة أذابتني. لقد تنكّرتني! ولكن.. هل أكلمهن الآن؟ ماذا أقول؟ يجب أن أرتب أفكاري.. لم يمهّلتني الوقت الكافي لللم ارتباكتي.. فغرين الورقة على السرير.. وخلعت أريج خاتنها وهي تقول:

"سامحني يا لؤي.. مضطرة أدبشك مرة ثانية!"

وضع البنات أصابعهن على الخاتم.. فوق الورقة.. رقادت سوسن الحديث هذه المرة:

"فيه أحده.. فيه أحده!"

هرعت إلى الخاتم.. وضعت يدي عليه.. حاولت تحريكه.. ولم يحدث شيء.. واصلت سوسن:

"فيه أحده؟ فيه أحده?"

فهمت أريج:

"يمكن نايصين!"

"رغد لا تضغطي بقوة.. يادوب لس.."

فرغت (لى (نعم) وحجت عليها طرياً.. فقد سمعت اسمي منها  
مرة أخرى!! فتدخلت أريج بيزالتها المعتادة:

"هم الجن افترضوا وما بقي غيرك؟ هذا شكك قرينك  
يا سوسن.."

سألتني رغد:

"إنت قين عايش؟"

عايش قين؟ هل أريج سوسن بالإجابة؟ لن أجري!

"ألى ح و ش"

"في الحوش؟ هنا في بيتنا؟"

"(نعم)"

حالت أريج الموقف بطريقتها:

"شكك عجبتيه في الكافيه فرجع معاك في وقرور يعيش  
في بيتكم؟"

"(لا) من ادم من .. زمان"

ابتسمت سوسن وهي تقول..

"الله يسلطك.. بس عرفنا بنفسك.."

قاطعتها رغد:

"تعرف كم حاجيب في الاختيار؟"

قاطعتها سوسن:

"محد يعلم الغيب (لا الله!)"

قالتها وأنا أتدرك على الورقة نحو: (لا)

أعادت سوسن سؤالها:

"إش اسمك؟"

أسرعت الزحفة:

"ح"

قاطعتني سوسن:

"خرجن؟!"

سألتني أريج:

"استنى شويه.. انت هوقلت لنا عمرك تسعين سنة؟  
أمك عايشة؟ وكمان جدك؟ جدك كم عمره؟ ألفين  
سنة؟"

"420"

ونطقت سوسن أخيراً:

"إنّو مسلمين؟"

"(نعم)"

وسألتني رغد أكثر الأسئلة إحراجاً:

"تحب مين فينا أكثر؟"

تحركت بالخاتم باتجاه سوسن.. حتى خرج عن الورقة وسقط  
على حجرها.. لا أعلم إن كان ذلك أسعدها أم أقرعها.. أعادت  
سوسن الخاتم ببطء.. وأكدت رغد سؤالها:

"تحب سوسن أكثر؟"

"مفعول؟ طيب انا جابك معانا الكافية؟"

قالتها سوسن.. فاجبتها:

"ف ضرول"

علقت أريج مرة أخرى:

"ياسيدي يا سيدي.. والله جتي تحفة؟ قلتك مطبخ  
عندك ما صدقتيني؟"

فاطمتها رغد بفضولة:

"خلوني اسأله: أحد عايش معاك هنا؟"

"(نعم).. أمي.. جدي"

"أمك وجدك بس؟ ما فيش جن ومفاريص غيركم؟"

"(أ)"

ماذا فعلت؟ يا لحماقتي!! اعترفت للنو بحبي لسوسن، وغيرتي من إياد! لقد تسببت بالرعب لهذه المسكينة! أعتقد أن هذا يكفي..! توجهت بالخاتم لأختم هذه اللعبة وجمعت على (مع سلامة.. فقالت سوسن بوجوم:

"مع السلامة.."

ونوف الخاتم، وخرجت من الغرفة مسرعا، وكأنني أخشى أن ترى سوسن تعابير وجهي، لا أعرف لماذا ظننت نصدق في النافذة حتى بعدما خرجت، لقد تعاديت بالفعل تجاوزت كل الحدود، أشعر بالحق من طيشي وغبائي..! ولكنني أعترف أن بداخلي لذة لم أشعر بها من قبل، لذة إعلام سوسن بوجودي يقربها، ويلبني أكن لها مشاعر خاصة، وأغزالي بغيرتي عليها، لقد صنعت لنفسني وجوداً في حياتها، وبكفيتي هذا!

خرجت من شاك سوسن بعشاعري المتلاطمة، لأفاجأ بوالدتي تقف أمامي في الحوش بجميع تعابير الحزن والغضب على وجهها..

"عصيتي يا حوجن! عصيتي!"

ظللت أحوم حول (نعم) ثم تحركت للسؤال عن سوسن:

"س و س ن .. ك ي ف ك"

أجابتنني سوسن بضحكة خفيفة:

"أنا بخير"

قالت أريج:

"ياختي عليه الجنى حقا مروره جننا!"

استمرت أسئلة رعد الفضولية:

"طلب.. تكره مي فينا أكثر؟"

بدون تفكير حركت الخاتم على الورقة:

"أ ي ا د"

سألتنني سوسن:

"إياد؟ إنت تعرف إياد؟"

"(نعم)"

وتلاشت قبل أن نعطيني فرصة للحديث، وحتى لو أعطتني  
الفرصة، لم أكن لأجد كلاماً يبرر عصياني لأمرها لي بالابتعاد  
عن مؤسستى.

(5)

زعمام اللعين!

مرت تلك الفترة ثقيلة عصيبة.. أمي لا تكلمني.. ولا أقترّب من  
سوسن، حياتي بين البيت والعمل، أقبل رأس أمي كل يوم ولا  
تنظر إلي.. أنا متأكد أن طيبة قلبها ستتقلب على زعلها في  
النهاية.. ولكن هناك من أنهى ذلك الزعل بشكل أسرع، ففي  
ذات يوم عدت من الدوام وكعادتي ذهبت لأقبل رأس والدتي،  
ولكنني وجدتها واجعة.. سألتها:

"أمي؟ حصل شيء؟"

لم تجبني، ولم تتزحزح تعابيرها فأعدت سؤالاً:

"أمي؟ إيش غيبت؟ جدي حصل له شيء؟"

أجابتنى باقتضاب يحمل الكثير من القلق:

"زعنّام.."

"زعنّام؟ ولد عمي سنوطل؟ إيش به؟"

"زعنّام ابن عمك كان هنا! سأل عمك.. وسأل عن

جدك!!"

زعنّام؟ وماذا يريد مني هذا اللعين؟ زعنّام هذا أخبرت أبناء

عمي..

شيطان متعربس في خدمة المشعوذين والكهنة وعبداء إبليس!  
يعيش حياة مترفة، ولا يبالي بأحد.. إلا نفسه! ماذا يريد مني  
يا فري؟ انتزعتني أمي من شرودي وقالت:

"بيفك روح له ضروري!"

"أنا روح له؟ مستحيل أطلب فمّاح بعد اللي حصل  
لأبويه.. أصلاً ما بيني وبينه أي شيء.."

تجاهلت موضوع زعمام، تكفيني موسمي.. لكن على الأقل جعل  
أمي تخرج من غضبها وصمتها وتكلمني. مرت بضعة أيام  
روتينية ومملة.. حتى جاء يوم وتفاجئت بقط أسود ينتظرني في  
الحوش، هجم علي قبل أن أستوعب وتحول ثوب عمي.. زعمام:

"تنقل علي يا ولد المطوع" تحسبني ما أقدر أوصل  
لك؟"

"زعمام؟ إيش جابك؟ إيش تبغني مني؟"

"إخص عليك! هذي مقابلة تقابل بها ولد عمك؟ كذا  
رباك أبوك؟"

تخلصت من قبضته والتفتت عليه:

"لو جيت سيرة أبويه رح أقتلك يا نجر!"

القي بي بعيداً بكل سهولة واقترب مني وهو يقول:

"أنا برفه رح أكون أحسن منك.. وما برد عليك، مع  
إنه بإمكانني أصيرك لكان واحد يدري عنه!"

"أنت صرت ماردا صبح؟"

"علي وشك.. أنا رح أصير عفريت بمساعدتك، وطبعاً  
مو ببلاش.. كله مجققة!"

العفريت هو الجنّي الذي يملك قوى فيزيائية مادية. فيستطيع  
التحكم بكل شيء ويستطيع التشكل، وإذا كان العفريت  
شيطاناً في الأصل فيسمى ماردا وهم درجات.. وطبعاً المارد  
الأقوى يستطيع القيام بأمور أصعب وبالتالي يجني الكثير  
من الأموال

أحسست بثقل العالم كله علي بضني و زعمام يدوس علي  
ببرود، يكتم أنفاسي ويتابع دون أن ينظر إلي، كان يتطلع إلي  
ناغدة موسن وهو يقول بكل برود:



سعادتها وسعادتك.. تخيل تعيش معها حياة حقيقية، وماحد يدري إنك جنني، وتحقق لها كل اللي تتناه، وتعيش معها أزواج قصة حب.."

بصراحة كلام زعناب أيقظ أحلامي ولكنني متأكد أن هذا اللعين بخين مصيبة! فقلت له محاولاً إخفاء انفعالاتي:  
"والمطلوب مقابل هذا العرض المغوي؟"

لم يتردد زعناب فقال وبكل وقاحة:

"لم إلياسين جدك!"

لا أتذكر تفاصيل ما حدث بعدها فقد ماجت بي الأرض ونخست مع زعناب في عراق يائس غير متكافئ لا أذكر منه سوى غضبي العارم وإصاباتي التي تركت أثارها الدائمة على مكسرات زعناب الذي أبقى على حياتي لأنه يحتاجني كـ"وصف الدن.. وتلاعب بنقطة ضعفي الوحيدة: سوسن! قال لي وهو يطير مبتعداً بيطة:

"ياغبني جدك ما يقيله عمر يعيشه.. الموت أروع له من عذاب العرض، جدك من ذل النفر.. تعرف إنش

"ما علموك أسيادك البشر أن الحب أعنى؟ وأنه لأجل الحب لا بد من التضحيات!"

عرفت أنه يلجج لعلاقتي بسوسن، فتحاولت أن أتململ منه وأنا أقول:  
"إياك أن.."

ولكنه زاد من ضغطه وكتم أنفاسي وهو يقول:

"لا تكثر كلام يا سستانس! ياختصار يا تضحي عشان سوسن.. يا تضحي بسوسن!"

أزاح قدمه لالتقط بعض أنفاسي وهو يقول..

"لا تخاف.. التضحية بسيطة جداً وما بتكلفك أي شئ! ورح تعيش مع سوسن على إنك بشر من شحم ولحم وبالشكل اللي تتناه سوسن، رح تصير فارس أحلامها الحقيقي! مو الوهمي الهلامي اللي ما يقدر يجمعها ولا حتى يلمسها أو يكلمها.. سوسن إنسية، والإنس أكثر شئ يهمهم غراتهم، بعني أنه بني آدم ممكن يسعد سوسن أكثر منك! أنا عندي مفتاح

نراكم كما نرى غيلاً قصيراً يعرض بالحركة السريعة.. لا تتفاجأوا إذا ثلث لكم أنني عندما ولدت كانت حياتكم لا تختلف عما كانت عليه قبل آلاف السنين فلم يكن هناك تلفزيون ولا راديو ولا سيارات ولا طائرات ولا كهرباء.. كنتم تمارلون تنقلون على الجمال والحمير، حركم العالمية الأولى قامت بعد ولادتي، وفي الحرب العالمية الثانية مورت بطائراتكم وهي تقصف بعضها وتتساقط كالجراد أثناء عودتي مع والدي من زيارته للإمبراطورية (جزر اللعين) قبل أن يتفاقم الخلاف سنة وبين أعاصي.. كل الإنس الذين أعرفهم في عمري ماتوا، وأحفادهم بالنسبة لي عجائز.. كل هذا في أقل من قرن.. لم نخلوا مألوف مألوف لأحفاد أحفادكم عندما أصبح في عمر جدي! لقد شهد جدي إلياس حقة من تاريخكم، لقد كانت حياته مرتبطة بكم إلى حد كبير جداً، فقد ولد في مدآن (كانت إحدى أعظم بلداننا في شمال البحر الأحمر) وذلك بعد أن انتقل جده إلى تلك المنطقة لنشر تعاليم الدين الإسلامي. لكم أن تتخيلوا، فقد عاش جدي ثلث التاريخ الإسلامي بأكمله، والد جده كان من النفر الذين تلقوا القرآن مباشرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم!

ممكن نحقق بدم ال نفرة كل أحلامنا بنحققها بسهولة.. نصير عقاريت.. نقدر نسوي أي شيء.. ويعدين لا تنسى أسكت! لا تنسى إنه جدك اللي تدافع عنه هو اللي حرض أبوك على أهله! هو اللي خلا أبوك يتعرب على أجدادك ويعيش ويسوت زي الشحات بين المستأجرين!

قلت له وأنا أتألم من كل جزء في جسمي

"يعني إنت فخور بموتة أبوك؟ لقي عذاب الدنيا قبل الآخرة ونسفه الشهاب وهو في أقدو عمل!"

لم يعلق زعمام على ما قلته واكتفى بالابتسام واختفى في لحظة وتركني في حالة من الرعب والذهول.

لم استطع الذهاب لعلمي ذلك المساء، أقعدتني إلا في وهمومي، مكثت جوار جدي إلياسين، الذي كافح لخمسة قرون، لا يمكنكم (أيها الإنس) تخيل وثيرة الأحداث التي تمر بها نحن الجن، فحياتكم مقارنة بحياتنا قصيرة جداً وأحداثها متسارعة، بالرغم من أننا أسرع منكم في التنقل إلا أن عامل الوقت بالنسبة لنا لا يشكل نفس الهاجس بالنسبة لكم..

طاقت بي كل تلك الخواطر وأنا جالس أمام جدي أتأمله. كان مستلقياً كعادته. لا يتحرك فيه سوى شفتاه.. تتمتعان بالذكر الذي لا يقطع.. كان ينظر إلي من الفينة للأخرى نظرات اختراقني. وكأنه يعرف ما أفكر فيه. كنت أتمنى أن استشير ليخلصني من زعمام. ولكنني بالطبع لن أجوز أن أخبره بذلك! لا يستطيع زعمام أن يضر جدي بشكل مباشر. فوالدتي تحصنه بشكل دائم. كما أن جريمة كهذه قد تقوم بسببها حرب طاحنة بين العائلتين. لذلك جئتني لأعوته علو تدبير فتة بحيلة لا تثير الشبهات.. هذا الموقف جعلني أكره نفسي. فهناك أعرس جدي ووالدتي وأعرض سوسن لأكبر خطر بسبب حماقتي. بكيرت وقتها. لا أذكر أنني بكيت هكذا من قبل. أحسست بيد جدي تمسح على رأسي. لأول مرة من سنين ويشير إلى السماء وهو يبتسم. وشفته لا زالتا تتمتعان..

(6)

انتقام أمي

أعتقد أن والتي ينسب من الحديث معي بخصوص سوسن،  
أما أنا فاعترف أنني أخلفت وعدي لها بجدارة، فلم أستطع  
(بسبب حفاقتي وانفاسي خلف عواظمي) أن أضع حداً لهذا  
الوضع، بل بالعكس، أصبحت مهووساً أكثر بسوسن.  
أصبحت أفكر ليل نهار في التقرب منها، في إيجاد وسيلة  
للتحدث إليها وإمضاء الوقت معها. أما والتي فقد أثر  
موقفي في نظرتها للبشر ولعائلة الدكتور عبدالرحيم بالذات،  
لقد أصبحت تمتنع عن تناول الباقي من طعامهم، وصعدت  
السكن مع جدي في سطح المنزل لتتجاشى رؤيتهم، ليس ذلك  
محبب، بل بلغ بها كرهها لهم أن كادت أن تفضي وجودنا  
لتفرهم من البيت لا أنسى تلك الليلة عندما عرّمت سوسن  
صديقاتها وأقامت حفل دي جي في سطح البيت، عدت فجراً  
إلى البيت لأسمع الموسيقى الصاخبة قبل أن أصل للبيت.  
وسمعت صوت والتي تصرخ، انطلقت مباشرة السطح لأرى  
سوسن وصديقاتها يرقصن على أغاني الذي جي والذين  
يجواو حدي في ركن السطح نصرخ:

"خلااااااا خلااااااا"

ردت علي بانفعال وبموعها مازالت تنهيم:

"يعني اللي يسووه فينا حلال؟ شايف كيف صار حالنا؟ شايف وضع جدك كيف يتدهور؟ شايف تصرفاتك؟ يعني كل هذا يرضي الله؟!"

حاولت احتضانها وامتصاص غضبها، ولكنها أشاحت عني، أعلم أنها نعتت علي ما فعلته في قرارة نفسها، ولكن كيف استرضيها؟.. لقد كان قلبي يتقطع من حزنها وخوفي علي حدي، وللهذي علي سوسن!

ستتولي الأيام تهديتها، وستعود المياه إلى مجاريها، أمي وأنا نأرمها، اتعني أن لا تكون هذه محاولة بائسة مني لتهدئة نفسي، قلقي لم يسمع لي ولا حتى بلقوة، ودفعني في صباح اليوم التالي إلى التمرکز بجوار سوسن لأعرف ردة فعلها وفعل أسرئها وأصدقائها لما حصل، وكانت ردود الأفعال تلك متباينة تبعد حد، فالدكتور عبدالرحيم يصر علي أنه حادث عارض والتماس كهربائي عادي، لا أدري إن كان ذلك بسبب سوء حكمته، أم لأنه لا يستطيع أن يستوعب أن بيت أحلامه الذي تقشمت عظامه قبل أن يمتلكه قد أصبح مسكوناً بالعاريت، فاصديقات سوسن فقد بالغن في تهويل الموقف

وفجأة توجهت أضواء الحفلة واحترقت دفعة واحدة بفرقة مكتوبة، ومع صوت احتراق الإضاءة وذلك الصوت الحدي في سماعات الذي جني الذي أعقبه صوت صغير حاد بسبب الهايكروفلون..

ومع النيران التي اشتعلت في جزء منها.. تحولت نشوة البنات العارضة إلى حساسة من الرعب والصراخ وسوسن تحاول تهدئتهن، وخرج الدكتور عبدالرحيم وهتان للسطح إثر الصراخ..

لا أصدق أن والدتي فعلت ذلك، لم أكن أعلم أن لديها تلك القدرة لقد رأيتهما تيكمي بحرقه ويغضب بعد أن تبعثرت الحفلة وغادر الجميع، قلت لها:

"إيش سويتني يا أمي..؟"

انفلق باب السطح خلفي بعنف وأصدر دويًا مزعجاً، وكان ذلك ردها،

"أمي.. إنت عارفة إنه تضفيش الإنس من بيوتهم حرام.. ما يرضي الله!"

"أمي إيش فيك؟ تعبانه من شي؟"

"أسكت وتعال وراي!"

وجدت نفسي بعد دقائق وقد ابتعدت عن معالم المدينة إلى سفح جبل لا يمكنه إنس ولا حتى جن، فجلست أمي جوار آثار الحجري مائي من الواضح أنه لا يذوق طعم الماء سوى لأيام معدودة في موسم الأمطار ثم يعود لصيامه.. جلست أمي تحت مظلة من صخور الجبل وبدأت تحرك يدها على الرمال..

"أمي أنا عارف إنك زعلتة مني بس والله ما كان.."

صدمت عندما رأيت الرمال تتحرك تحت أقدامها، فمن لا نستطيع التفاعل مع عالمكم بشكل مباشر، لا أعرف كيف يمكنني تبسيط الموضوع لكم، ولكن نحن لنا عالم مواز لعالمكم بنافذة من جهة واحدة، حيث نراكم ونسمعكم وننتفاعل بشكل محدود مع عالمكم في الوقت الذي لا نستطيعون أن نشعروا بأي شئ في عالمنا، أعدكم ياأنني سأشرح لكم ذلك بمزيد من التفصيل لاحقاً ولكن دعونا الآن نعود إلى أمي، فيبدو أن نصلي بكلمة أوادت أن تخبرني بأنها عفريتة، أو بأنها تملك

وأصغر إليه الكثير من البهارات ويطبخه بها حصل من قبل أثناء لعبهن للويسجا وراحت بينهن قصص منزل سوسن المسكون وتعيش سوسن بالجبان، حتى سوسن نفسها بدأت تقتنع بأنها محاصرة بالجبان الذين يريدون إيذاها.

مر يومان، وإذا بالدكتور عبدالرحيم يلقي ويرفقه شيخ ما ليت أن بدأ يقرأ بآيات من القرآن الكريم وينفث الماء في أركان المنزل وبالأذات في السطح، المني منظر أمي وهي تبكي بجوار جدي، هل يغفل شيخ من علماء آل النفر يتعوذون منه كما يتعوذون من الشياطين وينفثون عليه الماء..! كانت أمي من مراريتها وغضبها أن تغلق باب السطح بشدة بعد خروجهم ولكن جدي نهرها بنظرة صارمة، هجمت بالانصراف، فوجدني يلعب جراح أمي المسكينة وحساسيتها تجاه الإنس، ولكنها نادمتي، تفاجأت فلم أتوقع أن تكلمني أمي بمسألة بعد كل ما سببته لها:

"أيذاك يا جوجن لا تروح!"

سبقتني إلى الباب، فتبعتها ونزلت حتى خرجت من البيت وأنا أتبعها دون أن ينطق أحدا بكلمة، أسرع أمي الخطأ، فأصبت بالقلق عليها:

تشوف جنس البشر إلا من بعيد لما يعرفوا المسافرين  
في الوادي. في ذاك اليوم كان السيل قوي، وسحب  
الحجرة التي كنت واقفة عليها وسحبني معها، وشفت  
الموت بعيني!"

"بعيد النثر عنك يا أمي.."

تابعت وكأني غير موجود أمامها.. وكأني أعيد شريط تلك  
الأحداث أمام عينيها التي أمطرت بدورها بالولم من ابتسامتها  
وهي تقول:

"تحدثت عيني لقيت أبوك.. ما أدري وقتها فرحت  
عشان أنكتب لي عمر جديد، وللا أترعبت لأنني تحت  
رحمة ماردا إيوه أبوك كان ماردا أخطر من أخوانه  
كلهم! أبوك كان شيخ المردة بعد ما مات جدك، كان  
يقدر بسهولة يقدمني للمذبح من غير ما يدري أحد  
من أهلي ويحسبوني أنجرفت في السيل.. أنا السبب  
في إنه أبوك تمرد على أعمامك وعلى قبيلتك كلها!  
ضحي بكل شي عشانها ترك منصبه وعالم المردة  
والشعوذة وحارب الدنيا كلها عشان يعيش معاه..  
يا موي نحصل قوت يومنا"

بعض قدرات العقاريت، وهذه خاصية لا يمتلكها إلا عدد  
محدود من كبار الجان، ولا أعرف طريقة لاكتسابها سوى  
بال تعاون مع مردة الشياطين الذين يفرضون شروطاً تعجيزية  
لتحقيق ذلك الطلب الشاق والذي يفقد الكثير من الجن  
أرواحهم قبل حتى أن يبلغوه..

قاطعت أمي جمل أفكاري قائلة:

"أنا عاني عفرته.. بسر أبوك قبل لا يموت علمني  
أحسي نفسي من الإتن.."

سبحت ببصرها في أنحاء الوادي واكتست نبرتها حثيثاً وهي  
تقول:

"هنا قابلت أبوك أول مرة.. صية سنة موت زي  
الطيف.."

أصغيت إليها، أعتقد بأنها ستكشف لي تفاصيل قصة  
ارتباطها بوالدي التي أخفتها عني طوال السنين الماضية..

"كانت قريتنا برا الجبل، وكنت أحب أجي هنا لوحدي  
يوم السيل لعب وأتفرج، حياتنا كانت بسيطة، ما كنا

إش الفرق بينك وبين أبوك يا حوجن؟ أبوك حينني  
بشهامه.. وإنت بتحب الإنسانية بنذالة. أبوك امن لمن  
حبني.. وإنت الإنسانية رح تكفرك!"

وماذا عساني أن أجيبها؟ هذه أفسى كلمات سمعتها من أمي  
في حياتي..

"حوجن.. أدفني هنا!"

"هاه؟"

"وصيتي تدفني هنا لمن أموت يا حوجن! لمن أموت  
أدفني هنا.. عند هذا الشجر.. جنب أبوك."

"أبويه مدفون هنا؟ طيب قبر مين اللي بازوره من  
ثلاثين سنة؟"

"لو إسمك عرفوا مكان قبره كان أخذوه ودفنوه  
عندهم، عثمان كذا محد يعرف مكان قبره الحقيقي  
غيري. حتي جدك ما يدري. أنا دفنته هنا."

اقشعر بدني وأنا أراها تجثو على ركبتيها في مكان من  
الصح أني تحفظه عن ظهر قلب. وبدأت بالنحيب..

هذه صدمة لا أقدر على استيعابها! والذي كبير المردة؟!  
وحارب أهله من أجل عشقه لأمي! تابعت أمي وهي تمشي  
في بطن الوادي والهواء يثير الغبار إثوها..

"أبوك مافي زيه، تعرف كم واحد من النقر تقدم لي  
وجدك رفض؟ وزوجني لأبوك! عثمان كذا ال النقر  
عجروا جدك! قالوا له كيف ترفضنا وتزوج بنتك  
لشيطان هارد؟ كان يقول لهم هذا الحارد تاب نويه  
تخليه أقرب لله منا إحنًا!"

توقفت أمي فجأة والتفتت إلي:

"إنت اللي باقي لي من ربيعة أبوك، كآتي شافاه  
قدامي حتى في طيشك وجنونك وعواطفك. بس لازم  
تعرف شئ مهم! الحب خلق أبوك بضحي بهالم الكفر  
والمناصب ويأمله كلهم عثمان يحافظ علي. وإنت  
الحب بيخليك تضحي بأهلك ونفسك وحييتك كمان  
عثمان طيشك. ولا رح تقدر تعيش مع بنت الإنسان ولا  
تحميها ورح تضيع مستقبلها! قل لي كيف تقدر  
تواصل معاهم؟ وللا ناوي تكفر وتعيش في فحاح  
عثمان الشياطين يخطفوها لك وتضعن جهنم؟ تعرف



"آله يا عيجال.. إليه سبقتي ورجعت آله يا ليت يومي  
كان قبل يومك! ليتني أموت نحيب وأرتاح من الدنيا  
وهيها!"

"يا أعمى قولي لا إله إلا الله.. خلاص أُنسي موضوع  
الإنس.. نشيل أغراضنا ونعيش في أي مكان.."

"ربي يصبرني على فراقك وعلى الدنيا من بعدك يا  
ميجال.."

بثوث نجيبها هجأة واعتدلت:

"جدنا ما نقدر نسيبه لوحده كل هذا الوقت.."

أسرعت عائدة إلى البيت وكان حديسها نياها بئن جدي في  
خطر وأسرعت خلفها. وعند برميل النفايات بقرب الليلا رأيتها  
رأيت زعناب. قط أسود تفوح نظراته خبيثاً وسخرية، أعرف ما  
يصبر إليه، كنت أتمنى أن أقصل عنقه عن جسده، ولكنني لا  
أستطيع اسمه وهو متشكل في عالمكم.

لاحظت أعمى وجوده فاقتربت منه وحاول هو محاولة فاشلة  
لإخفاء خوفه منها خلف ابتسامته الساخرة.. قالت له:

"إش عندك يا ولد سنوطل؟!"

"كيف عرفتيشني يا بنت النفري؟"

"عمك علمني أشياء كثير.. ما تخطر على بالك!"

تحرك بسرعة خلف صندوق النفايات وخرج من الجهة الأخرى  
وهو بهيئته الأصلية، لقد فهم مغزى أعمى، فهي قادرة على قتله  
مسهولة وهو متشكل. فالتشكل لا يقدر إلا على فعل الأشياء  
التي يفكر على فعلها الجسد الذي تشكل به، إلا لو كان  
عفريتاً أو مارياً بالطبع، لذلك يفضل المتشكلون التحول إلى  
أعمى أو قط أو كلب كل على حسب قدراته، وهذه حيوانات غير  
معرضة للاقتراض وبالتالي تفل المخاطرة، ويفضلون اللون  
الأسود لأنه الأسول ولأنه يثير الرهبة فينفر منهم الناس. إذا  
ارتقم أن تعرفوا الجني المتشكل فانظروا في عينيه مباشرة،  
فنظرة الجني تختلف عن نظرة الحيوان العادي ويمكنكم  
تمييزها، تعود إلى زعناب الذي عاد إلى هيئته خوفاً من أعمى  
التي شك في كزنها عفريتة:

لأول مرة أسمع أمي تدافع عن أسوة الدكتور عبدالرحيم وهي تقول:

"كذبت يا تجس! أهل هذا البيت أنظف منك ومن سخارلك!"

"كل هذي الثقة الزائدة في الإنسان من جد ضحككتيني، بكرة تشوفي بنفسك! وساعتها محد يقدر يمنعني أدخل البيت لو أصحابه هم اللي طلبوني."

هم بالثغامة والثنت إلي ليلقي بعبارته القذرة:

"لا تقسى يا ولد عمي، لو احتجت أي خدمة مع الإنسانية أنا تحت أمرلك!"

قالها لي فجر التوتر بيني وبين أمي وانصرف اللعين.

سعدنا بسرعه إلى جدي لنطمن عليه، وعندما وجدته نائماً تركت أمي عنده ونزلت إلى غرفتي في الحديقة. أحاول ترشيح أفكارني واستيعاب ما سمعته وشاهدته اليوم.

"سمعت إنه فيه هنا بيت مسكون بالفقاريات، قلت أجبي أسأل بكم الإيجار.."

انقضضت عليه لسخريته الذجة من أمي التي أراحتني وأنا أحاول القبض على عنقه:

"احترم نفسك يا تجس! أنا قلت لك ربي أثبتك لو قريب هنا مرة ثانية!"

اعتقد أنه تحاشى الاصطدام بي خشية من أن يردبه أنا وأمي ولكنه استمر في سخريته قائلاً:

"عيب يا ولدا لما الكبار يتناقشوا.. المواقف يقعوا ساكتين.. خليك المت في حبيبة القلب!"

كانت أمي محافظة على هدونها وصراعتها وهي تقول:

"ياقول إيش عندك يا ولد سنوطل!"

"أنا جاي هنا في بزنس خاص، فيه مشروع لماسح أنظف مني في هذا البيت."

(7)

سوسن والسرطان

دعت موسى صديقاتها في تلك الليلة، ربما لتبث لهم أن بيتها خالٍ تماماً من العفاريث، كانت عزوبة محدودة لم تتجاوز البضع قشيات قضبان معظم الوقت في غرفة موسى، وكان يتحاشون الخوض في مواضيع الجن خشية أن يجرحون مشاعر موسى، أو رعباً من أن يطلع لهم العفريت من خلف الستارة، مع أن الفضول كاد أن يفضح بعضهم، ولكن موسى، وبكل شجاعة فتحت الموضوع، وكأنها تعالج الإشاعات بالبر:

"بنات.. أنا قررت أسأل الجن إيش اللي زعلهم مننا  
ذاك اليوم"

لهمت أربع مغزاهن فأرادت أن تجنب موسى الإحراج وتجلب  
نفسها الرعية:

"موسى، ماله أي داعي، خلاص شغلوا شريط سورة  
البقرة وتحل المشكلة.."

لم تسمح لها خلود بتضييع فرصة تلك المواجهة فقاطعتها:

"نعم"

سعت خلود باليد في طرح أسئلتها، ولكنني لم أمهلها لتقاطع  
حديثي مع سوسن:

"مرام حبيبي"

"ليه سويت كذا؟ إحنا اذيناك في شي؟"

"م..ش.. ان ا"

لم تستغل خلود كيت فضولها فسألتني:

"ليه جن غيركم في البيت؟ فيه شياطين؟"

"ي"

"جاديت عيان"

"أمي زعلت"

"م..كان قهرده"

شعرت سوسن بشيء من الطمأنينة، وردت علي بكل حنان:

"سامحتك.. حقك علينا، وأتأسف لنا من أمك وجدك"

"لو ما كانوا جن كويسين كان اتيسطوا معنا في  
الذي جيا أكيد فيه سبب.. الحل الوحيد إننا  
نواجههم سوسن جيبني ورقة من الطابعة.."

وبدأت خلود فرباً في رسم لوحة الوجا.. مع تدمر أريج وتوتر  
باقي البنات. لا أنري لماذا أحسست بتلك اللفة الخفيفة  
بالرغم من كل ذلك التوتر الذي كان يتناوبني أنا أيضاً.. هل  
لأنني سأكلهم سوسن مرة أخرى؟ ولكنني لم أرتب أموري، ماذا  
أقول؟ هل أستغل الفرصة وأعترف لها بعشقي المجنون؟  
سيرعيبها ذلك بالتأكيد!.. ومرة أخرى لم يمهلني البنات لأفكر  
فبدأن..

"فيه أحد؟ فيه أحد؟"

أعلم أنني لو لم أجب لسيئوقفن..

"روح شرتي ني"

يا إلهي ماذا فعلت؟! لم أستطع أن أقاوم الفرصة وأصيب  
الموقف كله بالشلل قبل أن تعيد فيه سوسن الحياة وهي تقول:

"جوجن"

"ك يا فدا.. ح ال ل لة"

لم تفلت أريج فرصة الزالة فخلقت قاتلة:

"ياسيدي ياسيدي! الجنى حقت غرقان. ايش رأيكم

نسبلهم اليجا عشان ياخذو راحتهم؟"

وتوكت أريج قطعة البلاستيك فأصبحت حركتها غاية في الثقل،

ولكن ما لبثت أن عادة لسلاستها، فنجبت أن الطف الأجواء..

واتقرب أكثر من سوسن:

"قل لى ت.. ع لى ك"

"ل ل ل ت خ ا ف ي"

"ان ل ل م و ج و د"

لاحظت خلود حركة القطعة البلاستيكية بالرغم من أن أريج

تركها، فقالت:

"وايله فكرة يبالنا نجرب شخص واحد يحركها،

سوسن شبلى صباك خليلي أحاول أحركها

لوجدي.."

رقت سوسن إصبعها فتوقفت قطعة البلاستيك كالحجر. بالرغم

من أنني كنت أحاول جامداً. فلو نجحت التجربة سأتمكن من

الحديث مع سوسن دون الحاجة إلى تجمع صديقاتها..

"خلود خليلي أنا أجرب لوجدي، بما إنه حوجن قلقان

على أنا يمكن ما ينفى بكلم أحد غيري على انفراد؟"

روضعت سوسن إصبعها على قطعة البلاستيك وقالت:

"حوجن إنت موجود؟ تقدر ترد على؟"

حاولت جامداً.. أحرك يدي على القطعة ولكن لا شئ يحصل،

اتمنى أن تسجج روحها في استشعار حركتي ودفى قطعة

البلاستيك معي، في العادة روح واحد لا تكفي للشعور بنا،

لذا فإني حركتها دائماً تكون أسهل عندما يزداد العدد..

حاولت وحاولت، هاهي كلمة "نعم" لا يفصلها عني شئ..

اغضمت سوسن عينيها لتستجمع تركيزها، وتحركت القطعة

أخيراً نحو "نعم" فاندھش الجميع وعلى رأسهم أريج:

"سوسن حرام عليك من أول بتحريكها وسابقة علينا

قصص الغرام مع الجن؟ أنا انشليت من الرعب!"

"والله ما حركتها هي تحركت!.. حوجن إنت هتأ؟"

"نعم"

"أنا.. ب أ ح ر ك ه ا"

"س و س ن"

"أ ب ع ا.. أ ت ط م ن.. ع ل ي ك"

"لا تخاف أنا كويسه بزي المال، والحمد لله إنه اتصافينا وانتهت المشكلة"

"أ ب ع ا.. أ ن ل م ك.. د ا ي م ا"

ساد صحت مغلف برعب، فاستدركت كي أطمئنتها:

"أ ل ا.. ت ل خ ا ف ي.. أ ن ا.. م س ل م.. ا خ ا ف.. ر ب ي"

رطعأنتني سوسن بدورها:

"كيف أخاف من جاري؟ حاكلك كل ما ألقى فرصة"

نزاحمت الأفكار والعبارات في ذهني، وكأنتني لم أصدق أنني أتحدث مع سوسن.. سوسن فقط! ويدات أحرك إصبعي على اللوح بقوتر بالرغم من أن قطعة البلاستيك لم تستجب لذلك لنوتر واستمرت في انسبابها السلس البطيء.. فازداد توقري وكأني أخشى أن تسبحر أفكاري قبل أن أروح بها.. وكأني أخشى أن لا تتاح لي فرصة الحديث مع سوسن على الغراء مرة أخرى

"م ب ك ر ق.. م ا.. ع ن د ك.. م ح ا ض ر ا ت.. م ح"

كنت على يقين أن أريج ستطفل، ولكن تطفلها كان في مصلحتي هذه المرة

"لا لا لا دس إز نووو متش! خلونا نمشي يا بنات قبل لا حمنجن بسلط علينا القفاريات يكرشونا من هنا!"

أحسرت وجفنا سوسن خجلا وارتمكت وهي تقول:

"أريج بطلي بياضة!..!"

"وأخاف ليه؟ إنت ممكن تأقيني؟"

"أنا... خايف فـ"

"هاهاها.. خايف مني؟"

"خايف... ع لـ ي لـ"

"لا تخاف.. أنا جنية أكثر منك!"

قالتها ورفعت أناملها عن قطعة البلاستيك فجأة.. وتوكلتني وحيداً على الورقة، أحضرت الألباد من على مكتبها واستلقت على سريرها وفتحت بوساج الكتابة روضت القطعة البلاستيكية عليه، غممت مغزاهما قبل أن تناديني وكأنني إنسان مشحوم ولحم معها في الفراغ..

"تعال هنا أحسن يا حوجن.."

وصحت القطعة البلاستيكية على الألباد وانزلت بنعومة ولكنها كانت كبيرة مقارنة بحجم الحروف، أهدتها سوسن وقالت..

"خلينا نجرب كذا من غير الغطاء؟"

فصصت خلود الموقف لصالحني وهي تقول:

"أنا سواقني وصل من أول، لازم أمشي.."

وتبعتها أريج وهي تخاطبني بصوت مرتفع وتظهر لسقف الغرفة:

"أحسنجن.. بليز نقل سوسن نتايح امتحاناتنا.."

وأوعدك أشبكك مع كل بنات الإنس!"

بادر البنات بالتصراف وهدت سوسن بصاحبهم لشميلهم للباب ولكن خلود قالت لها في صرامة:

"انتبهي تشيلي يدك عن الغطاء بدون ما نقولي مع السلامة!"

أنا الآن مع سوسن، في غرفتها لوحدها، أستطيع أن أتحدث معها بشكل مباشر، أعبر عن مشاعري، وأهيم بمشاعرهما! مرت فترة صعبت.. يدي ويدها على قطعة البلاستيك، التمسعة على وجوهنا، والثوب بين دقات قلوبنا المتسارعة..

"حوجن؟ إنت لسا هنا؟"

"خايف... مـ نـ يـ"



غابت السيدة وجاء فحدث يدي على الفور نحو القياد،  
وعليها يد سوسن التي مارأت مستلقية على السرير ومتكئة  
على المائدة، همست سوسن همسة وكأنها تخشى أن تسمعها  
أنها:

"كنا حنتكفش"

قالتا وأناملها على لوحة مقاتيح الألياد تحركها بخذر دون أن  
تلمس الأحرف إلا عند توقفي عليها.. فرددت عليها..

"ربنا ستر"

تفاجأت سوسن، وتفاعت أنا أكثر منها من سلاسة الكتابة  
بهذه الطريقة، ما أروعك يا سوسن! هي تتحدث وأنا أزد  
بالكتابة على لوحة المقاتيح باستخدام أصابعها مباشرة! اعتقد  
أن مختروعي لوحة الأوبجي من الإنس والجن سيلبهرون  
بأختراعه، لست متأكد أن كانت هذه الطريقة نافعة مع  
الآخرين، أم أن علاقتنا أنا وسوسن لها ظروفها الخاصة، لن  
أضيع هذه اللحظات الثمينة في الترتبة مع نفسي..

"سوسن نش اللي شاغل بالك؟"

وضعت أناملتي على أناملها مباشرة وحركتها، شعرت أنني أنا  
الذي أتحكم في أناملها، ولكن حركة أناملها على لوحة المقاتيح  
طبع جميع الحروف التي تعر عليها فظهرت عبارات غريبة غير  
مفهومة، غلظت سوسن ضحكتها الطفولية التي أثارت فضول  
السيدة وجاء، فدفدت باب غرفة سوسن وأصابت بالذعر قرععت  
يدي على الفور وفتحت الباب وهي تسأل:

"سوسن؟ ضحكك وأجسلة للسير.. مع مين تتكلمي؟"

"جالسة أفرج مقاطع يوتيوب تقطس من الضحك يا  
ماما"

"الوقت متأخر.. ما عندك محاضرات بكورة يا بنتي؟"

"لا ياماما.. وكمان مو جايني نوما"

"طب أسويك حاجة يا بنتي؟"

"لا شوية وحانام.. ربي ما يحرمني منك يا ماما"

"ما فهمت"

"دائماً تبكي لوحدي"

"أنت دائماً تراقبني وأنا لوحدي"

"لا لا لا.. أنا أخرج من الغرفة أول ما تجي"

"طب كيف عرفت إنني بابكي دائماً؟"

"صور الأشعة.. أبوك مريض"

صُغمت سوسن من سؤالني الذي ندمت عليه حينما انتهت دموعها على خدودها وأناملها والآبياد عابرة من خلال أناملني. مرت لحظات لم تتحدث، وحاولت جاهداً الكتابة ولكن أنامل سوسن تسمرت على حرف الضاد. كرهت نفسي ومحافتي إلى أن قالت:

"هذي صور أشعة دماغني أنا!"

نزل الخبز ثقيلاً جداً على قلبي. عاجت بي الأرض، هذه الزهرة اللطيفة التي تفوح سعادة على من حولها وما حولها، مصابة بوزم في دماغها؟! وزم قد يقطعها في أية لحظة!

ما أقواها! لقد استجمعت قواها وغيوت مجرى الحديث واجبرتني أن أبتز معها الموضوع حين قالت:

"أنا راضية بنصبي وباستمتع بكل يوم في حياتي بدون ما أشغل بالي، باعتبر إنني ما دريت أصلاً إنني مريضة ولا حتى فكرت أقول لأحد، ودينا كريم، هو يتولاني، ويعينني تعال هذا. سييك مني وحكييني كل حاجة عن الجوز وعن أهلك. أبقي أعرف كل التفاصيل لو سمحت!"

استغمت حزني وأنا أحكي لها كل ما أعرف، وهي تعلق أحياناً ويستسم أحياناً في استرخاء، تناقلت حركة أصابعها وهي تقاوم التفاس بصعوبة، تمتعت قبل أن تستسلم لنومها:

"مع السلامة يا حوجن.."

انفسعت وأنا أراقبها، كنت متأكداً أنها شعرت بابتسامتي، سميت أناملني بهدوء، وكأنني أخشى أن تزعجها حركة يدي، جلست على طرف سريرها أنامل ابتسامتها التي لا تفارقها حتى عند نومها، وسالت دموعي، دموع فرحتي بالكلام مع سوسن، وجرتني عليها.

(8)

رحمة الله عليك يا جدي

أحياناً أرتبك وأنا أحكى لكم قصتي، ففكرت أكثر من مرة في أن أتوقف عن سردنا لكم، اتساءل أحياناً عن نفسي، لم أضيع وقتي في إقحامكم في مشاكلتي ومخوفي؟! ولم تضيعون أنتم أوقاتكم في قراءتها؟ إنه الفضول... فقط الفضول.. أنتم يا إنس فضوليون بامتياز، أعذركم على فضولكم لكل ما يفت لعالمنا بصفة، فذلك مصير تسلية لكم، كما أنكم بفطرتكم تهابون كل ما هو غيبي، وغامض ومجهول، اعتقد أن في إطلاعكم على تفاصيل حياتي طعنة طفيفة لخاوفكم، ذو قد تكون ممارسة لهوابتكم في الاستمتاع بإزعاج الذات، لا أفهم لماذا تجدون الرعب مسلياً لهذه الدرجة؟ نصنعون الأفلام التي نقضون أمامها الساعات فقط لتفمضوا أعينكم وتطلقوا صرخاتكم بالويل من كل ذلك قررت أن أواصل سرد قصتي مع سوسن..

مرت عدة أسابيع كنت أتحدث فيها مع سوسن بشكل شبه يومي، نقضي الساعات سوياً، لم نشعروني سوسن يوماً بأنني غفريت من عالم آخر بالرغم من فضولها وشغلها لمعرفة الأسرار التي تويط عالمينا، لم أشعر يوماً أن عمري يهوق عموها بثريعة أضعاف، بالعكس كانت تدهشني دائماً بحسبها، لقد كانت تجاري عقليات صديقاتها عندما تكون

معهم مع أن فكرها أوفى وأعمق منهم بكثير. لم أتوقع أن تستوعب كم المعلومات الهائل عن عالمنا. تحدثت معها عن كل شيء، تنهمر تساؤلاتها وتساؤلاتي كلما التقينا. نتحدث عن إجاباتها سوية، نتفق، نختلف، نتجاوز. كنت أتنسى أن أعرض عليكم ما جرى بيننا من حوارات. ولكن قصتي لا تنتهي. أعددكم أن أحاول كتابة بعضها فور إتمام القصة.

قرأت معها كتبها، شاهدت أفلامها، استعنت إلى أغانيها، بل وساعدتها أيضاً في شراء ملابسها من الإنترنت، كانت تتكلم، وكنت أحرك أصابعي على حروف الإجابة مكتبتها هي على الفور. وكان الحوار بين أيماننا ثلاثاً وفسحت المجال لأرواحنا لامتزجت.

صارت تشعر بوجودي عندما أكون بجوارها. تعرفت سويد عودتي من عملي. نجهز أيمادها وسعد قهوتها وتصدر أن تعزمني عليها كل مرة وهي تعلم أنني لن أذوقها. تذيب قلبي عندما يسرقنا النوم أثناء حديثنا واستيقظ على صوتها الحنون وهي تداعب سطح الألبان ونهمس:

"حوجن! إنت لسا هنا؟"

وكأنها تخشى أن تزعجني، أو تنام أثناء حديثنا وأنام أنا تحت أحواض السوسن عند نافذتها، مرت هذه الفترة كالطيف العابر ويترها نداء أمي المتوتر لي، استيقظت. لم أجد وقتاً لاتأمل سوسن لأنني كنت في لحظة قد وصلت للسطح لأرى جدي ولأول مرة من سنين جالساً بعد أن أمضى عمراً من حياته على الفراش. أشار إلي بيده المرتعشة ليجلسني بجواره، ونظراته تبحث عن شيء في الأفق، سيكون الليل لم يقاطعه سوى دموع أمي الصامتة، إلى أن قرر جدي الكلام، وكانني أسمع لأول مرة يتكلم:

"وأنا صغير، قامت حرب الحرتين، ما أعرف أحد بحيري حضرها ولا زال عايش"

"ربي يعطيك طولة العمر يا جدي ويخليك لنا"

"كنت في عز شبابي لما لحقت اليتمة"

عندما يقترب أجل الشخص يكثر من ذكر الماضي وتذكر الموتى، أنتم أيضاً تعرفون ذلك، بالذات عندما يصحو فجأة من سباته، تلك هي صحوه الوداع، كانت أمي متيقنة من ذلك،

"جدي..!"

"وعلى نفسك... وعلى هذولا الإنس الطيبين، فيه إثنين  
مودة يحوموا حولين البيت من فترة، أنا عارف إيش  
بيفوا..!"

يا ترى هل عرف جدي بما دار بيني وبين زغانم؟ هل يعرف  
الموضع المخزي الذي وضعتهم فيه؟ هل يعرف أن حياته مهددة  
بسبب علاقتي الحمقاء بسوسن؟

"أنا ما بقي لي أيام طويلة أعيشمها، إيش بيستفيدوا  
من عجوز ينتظر أجله؟ هذولا جايبين عشائك إنت يا  
حوجن.. حوجن تذكر أبوك؟.."

تحسس جدي وجهي بأنامله المرتعشة وابنس وهو يقول..

"كأني شايف ميحال قدامي. إنت ورثت كل شئ من  
أبوك، نسخة منه! ما تتخيل قد إيش هم متعشمين إلك  
ترجع لهم، وتموضهم عن خسارتهم في أبوك، ربنا  
خصه بقدرات ما يحلم بيها أكبر مارد عندهم، يفلوك  
ترجع عشان يزوجوك بذت عمك ويستمر نسل أبوك  
بينهما أصحك يا حوجن ترجع لهم.. أصحك!"

بالرغم من محاولاتي القاشلة لتسليط تلك الفكرة ومقاطعة  
جدي.

"جدي إنت لازم توتاح، إن شاء الله كلها أيام وتسترد  
عافيتك وتروح عمرة مع بعض.. و.."

جدي الذي لم يستمع لكلمة مما قلت، إنتقت إلي وقال

"ميحال أرجل واشهم وأكرم جنبي شفته في حياتي،  
وصانتي عليك وعلى أمك قبل لا تطلع روحه وهو بين  
يدي"

انهارت أمي في مكانها المرير بالذات عندما أيقظ جدي ذكرى  
والدي، ولكنه تكلم معي أنا وكأنها غير موجودة:

"ميحال ضحى بنفسه عشان نعيش أنا وإنت وأمك..  
عرضوا عليه يصير ملكهم، لكنه رفض، هددوه وعذبوه  
عشان يتخلي عننا، لكنه وقف في وجههم إلين قتلوه..  
حوجن.."

"لبيك يا جدي.."

"لا أوصيك على أمك.."

وأعاد عبارته التي كانت أثقل من الجبال على قلبي:

"أنا اخذت الأمانة من أبوك.. واليوم أسلمها لك يا حوجن.."

قالها وهو يسدل بشده، وكأنه يخرج آخر الأثقال من صدره، وضعت على سريريه بلطف، لم نبارح أنا وأمي مكاننا، نحت على الأرض بجوار سريريه. كلما أفتح عيني أجد أعمى تتأمل وجه جدي، نمتج على جبينه، وتنساب دموعها في سمعت وتنبند في مجراها إلى أن تسقط من ذقنها دون أن تزجج جدي.

اعتقد أنني سأخسر وظيفتي مع تكرار تفبيبي، عرضوا على سكننا بقرب مقر عملي، والأهم من ذلك بعيد عن بني البشر. ليثني قهات عرضهم قبل أن تتخذ الأمور، لم يوصني جدي بعائلة الدكتور عبد الرحيم من فواج، ياترى سألني بخفيه جدي؟ ومن المردة التي يحومون حول البيت؟ توفقت سيارة امام الباب، وخرج منها أبو عطية صديق الدكتور عبد الرحيم. ومعه الشيخ موسى تاكاو ساحر إفريقي يدعي التدين بالزعم من أن خواتمه تفضحه، يتبعهما زعتام ومارد آخر لا يفارق الشيخ موسى..

الآن عرفت لماذا تغيب الدكتور عبد الرحيم عن عمله اليوم، نزلت بسرعة من السطح دون أن يشعر بي أحد، دخلت عبر شبك المطبخ إلى غرفة السفرة التي يفصلها سائر عن غرفة الجلوس وحبيست أنفاسي كي أسمع ما يدور بينهم دون أن يشعر أحد بوجودي، ابتدا أبو عطية حديثه:

"شوف يا ابو هتان، أنا والله لولا إني أعزك ما كان لزمت على الشيخ موسى يسجي، تواد كله بركة ومكشوف له الستر.."

قالها بينما عجز الشيخ موسى عن إخفاء ابتسامة الزهو، وهو يتمتع بهمهمات توهم من حوله أنه غارق في الخشوع والذكر فواصل أبو عطية:

"من يوم ما حكيت له عن اللي حصل في بيتك عرف على طول، بيتك فيه مردة حوكس يا دكتور.."

قاطعه الدكتور عبد الرحيم معترضاً بلهافة:

"يس يا أبو عطية الموضوع مر عليه شهور وما حصل شي الحمد لله. كل يوم نتحصن ونشغل سورة البقرة في البيت.."

"يا عبدالرحيم، لازم نعرف إنه هذا المخطط انبنى على قرية جنة وكثر ملكهم تحت بيتك بالمضبط"

قبل أن يستنكر الدكتور عبدالرحيم تكلم موسى لأول مرة بلكنته الإفريقية:

"هذا رزق كتبه الله لك من فوق سبع سموات، فيه أحد يرفض رزق الله؟"

واصل أبو عطية بإصرار لينلاعب بنقاط ضعف الدكتور عبدالرحيم:

"يا أبو هتان، الشيخ موسى ياذن الله ياذن الله يقدر يتفاهم مع العدة ويقنعهم يسيبوا البيت ويفكوا الحجب عن الكنز اللي أصبح شراً ملكك إنت من يوم ما امتلكت أرض البيت، الموضوع مو سهل! بس بالله عليك مو حرام تضع رزقك ورزق أولادك؟ هاه! تقدر تقول لي إشر رح تسبب لهم من معدن؟"

مجن أبو عطية في التلاعب بعواطف الدكتور فواصل بحماس:

"رح تسبب لهم أفساط البيت؟ كيف رح تزوج هتان وأخته؟ كيف رح تبني لهم بيوت؟ برضيك يعيشوا المعاناة اللي عشتها؟ الحياة ماصارت سهلة زي أول يا مكتوراً هذي فرصة سخرها الله لك! وهذولا أمانة في رقبك، ووبنا رح يحاسبك لو منعت عنهم رزقهم!"

لاحظ موسى تأثير الدكتور عبدالرحيم عندما داعب أبو عطية نقاط ضعفه، فأجهز عليه بالضربة القاضية:

"يشهد الله يادكتور أنني لا أبتلي غير وجه الله، وما جيت إلا لمزة أبو عطية عندي ولأنه مدح فيك كثير، هذي الأمور ما تحب نكشفيها، وبيقالها شغل ومجهود ومخاطرات كبيرة، لكن إحنا نستعين بالله، وما يوقف في وجهنا أي مارد وشيطان بحول الله! أنا مستعد أثبت لك إننا ما بنسعين غير بالقران والجن والقدام الصالحين، ولو تعطيني فرصة أنا ممكن أعرف حجم الكنز وأخليهم يفرجونا عليه عشان تصدق بنفسك، وفي النهاية الموضوع راجع لك إنت!"



انتفض الدكتور عبدالرحيم رغم صلابته، وتردد قبل أن يستوعب الموقف، فرد السلام:

"وعليكم السلام.."

"نحن نعتب عليك يا دكتور.. كيف ما تقبل مساعدة إخواتك الصالحين من الجن..". بيتك تسكنه عائلة من المردة الحراس على كنز الملك هانان، بعون الله نقدر نقنعهم بسلوك كفضلك، أو على الأقل ينقلوا الكنز وينصرفوا من..."

لم أستوعب مألذي حصل، ولكنني لحت خيالاً خاطفاً انطلق نحو شئز ودفعه بعيداً وأخرسه، إنه جدي..! ذلك المريض الذي لا يقوى على الحراك ولا الكلام رأيت اليوم يقتصر المارد يديه وكأنه شام لم يجاوز الحانة عاماً تتبعه أمي التي انقض عليها زعنم متروداً.. وقبل أن أستوعب الوضع هجعت على زعنم عندها رأيت انقضاضه على أمي.. وقفت بينه وبينها مارنظم بي، لا أعرف من أين أتتني كل تلك القوة قبضت على رقبته وكنت أن أنتزعها في يدي وألقيت به بعيداً، التفت إلى جدي فرأيت شئز يستमित ليفلت من بين يديه بعد معركتهما الشرسة، لمحتني فجحظت عيناه وهو ينظر إلي في رعب، رأيت

كان زعنم والمارد الآخر (شئز) يجلسان في صجر، وكانهما قد ملأ هذا السيناريو المتكرر، وينتظران دورهما فيه، فواصل موسى وهو يخرج من جيبه قطعة قماش حمراء فيها معجون بخور ذو رائحة نفاذة:

"هذا يا دكتور لجان مقرئ عليه، الآن ينسأل الخادم الصالح ميكائيل قدامك بشأن تصدقني!"

ولم يمس موسى جزء من البخور على طفاية السجائر، أوقدها فتصاعد منها دخان أبيض كثيف، فقال أهرطية نحو الدكتور عبدالرحيم هامساً:

"الخادم الصالحين دايماً يطلع لهم دخان أبيض، دحين تسمعه بنفسك، أصحك تترك.."

تصاعد الدخان بكثافة، وازدادت ونيرة تمتدات موسى وهو مغمض عينيه ويأوح بيده فوق الدخان، فقام شئز وجلس أمام الطفاية وتحدث بصوت مسعور وأسلوب استعراضى:

"السلام عليك يا صاحب الدار.."

ودعهم الدكتور عبدالرحيم وملامحة تقطر دموعاً وقلقاً. ويدخل  
عن الباب وهو يردد الإنكار وأية الكوسبي. حملنا جدي الذي  
استنقذ ما تبقى له من قوة، حملناه إلى سريريه أنا وأمي.  
كان مبتسماً مطمئناً وكأنه أتم مهمته على أكمل وجه.. مهمته  
التي استغرقت 420 سنة!

إصابات جدي اليليفة فصرخت فيه صرخة تشقت على إثرها  
السخان الأبيض، واضربت كهرباء البيت. استطاع زعمنا أن  
يحمل بقايا ثمن وينفذ بجلده.. وقع معركتنا توتر الموقف بين  
الدكتور عبدالرحيم وضيوفه، حيث توقف حديث الخادم الصالح  
المزعوم، وتلاشى السخان، وظهرت علامات التوتر الشديد على  
موسى الذي عقب قائلاً:

"شفيت يا دكتور عبدالرحيم؟ حواسي الكفر ما يحبوا  
الخدام الصالحين، بس لا تشيل هم.. ريتنا معانا  
بالن الله!"

لاحظ أبو عطية توتر موسى الساحر، فقرر إنهاء الزيارة وهو  
يقول:

"أديك سمعت وشفت بنفسك يا عبدالرحيم. لو عا  
اتصرفنا بسرعة صدقني بيأذك ويأذوا أهلك.. خلييني  
أوصل الشيخ موسى وأكلمك بعدين.."

(9)

سوسن.. تحتضرا

رحمك الله يا جدي رحمة واسعة.. دفناه في بقيع الغرقد كما  
أوصى بجوار آل النفر وصحابة رسول الله صلى الله عليه  
وسلم، كانت آخر وصايا أن تبقى أمي في اليتمة على  
مشارف المدينة المنورة في حماية من تبقى من آل النفر، الذين  
بالرغم من اختلافهم مع جدي بسبب تزويجه أمي بمارد إلا  
أنهم رحبوا بعودتها واحترموا وصية جدي، بقيت مع أمي شهراً  
في اليتمة، لم يستسجِ آل النفر وجودي بينهم، أشعروني أنني  
مارد متطفل عليهم! الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لا فرق  
إلا بالتقوى ولكنهم للأسف يقدمون النسب على التقوى، اعتقد  
أن المفاضلة على أساس التقوى قد تلاشت عندنا وعندكم  
فنصيححت بالأسباب والمصالح! لولا أمي لما بقيت في اليتمة  
 يوماً واحداً، قررت أن أوفر عليهم خرج طردي فغادرتهم بعد أن  
اطمأنيت على أمي، وعدت لأفقد باقي وصية جدي: حماية  
الدكتور عبدالرحيم وأسرته.. حماية سوسن!

سير كامل ابتعدت عن سوسن، لم أستطع حتى أن أودعها أو  
اطمئنئها، يا ترى هل اشافت إلي كما اشتقت إليها! ولكن  
كيف سأعلمها بحضوري! سأنتظر بجوارها إلى أن تفتح  
اسادها وأحاول أن أحرك أفاعليها بأناملي، لهفتي جعلتني  
أتجاهل منخل البيت وأندقي قوراً من نافذة غرفة سوسن..

لم تكن موجوده، لم يكن هناك أحد في البيت سوى الخادمة، كل شئ في البيت بدا كنيباً وكثيفاً هجروا البيت من أيام، يا ترى ما الذي حصل في غيابي؟ تزايد قلقي وأنا أبحث عن أي علامة توشدني إلى مكانهم أو تطمئنني عليهم، إلى أن انطلق رنين هاتف المنزل، الخادمة التي جلست تشاهد التلفاز في غرفتها لم تسمع..

قد يكون المتصل أحد أقواد الأسرة.. توقف الهاتف دون أن تسمعه الخادمة، جُن جنونياً يجب أن تجيبها مددت يدي لا شعورياً إلى تلفازها، أحاول أن أدفعه ليقع، كانت يدي ترتطم به دون أن يحصل شئ، جاءت لترع سلكه من الحائط دون فائدة بدأ رنين الهاتف مرة أخرى ومع حدة توتري حصل ما لم أكن أتخيله أبداً مع محاولاتي لنزع سلك التلفزيون سقط فجأة على الأرض فأصبحت أنا والخادمة بالهلع انزعجا رنين الهاتف من هلعها فقامت لتجيب عليه.. أسرعني بالله عليك! رفعت السماعة في آخر لحظة.. ومزقت عباراتها قلبي:

"أيواه.. مستر ومدام كله روجي مستشفى عثمان سوسن مرة تعبانه.. غرفه 307 مستشفى تخصصي.."

لم أنتظرها حتى تكمل فعا قالته كان كافياً أن أكون في المستشفى خلال دقائق قليلة، هناك كان يحاول امتصاص عبه الحديث مع الأطباء والزائرين عن كاهل والده الذي كان صامتاً لا ينطق فيه سوى دمة متحجرة على عينه، وذراعه محيطه بالسيدة رجاء التي انهارت في بكاء مكتوم وهي تنلو أياك الشفاء، هذا المشهد كان كليلاً بالقضاء على لولا أنني تعالكت نفسي وانطلقت كالجنون أفتش عن سوسن بين غرف العناية المركزة..

رايتها.. بل رأيت جسدها الذي لا تبدو عليه أدنى علامات الحياة لولا تحرك صدرها ببطء.. الأنايب تفللت في عروقها ورتبتها معلنة أن حياتها ستوقف إن توقفت تلك الآلات.. انغاسها، نبضها، عيناها التي خبا بريقهما غير مغلقين ولا مفتوحين كلها توجي بأن سوسن غارقة في غيبوبة قد لا تغادرها سوى إلى قبرها..

دوم في الدماغ سبب ضغط على المراكز الحيوية، أدى إلى عيبوية كاملة، صور الأشعة المقطعية ونقاشات الأطباء والمستشارين كلها تشير إلى أن سوسن لو حالقها الحظ

وعاشت لمستبقى في غيبوبة، أو ستستعيد وعيها ولكن مع  
أضرار جسيمة في المخ قد تميقها ذهنياً وحركياً باقي عمرها.

"عظم الله أجرك قبي جدك يا ولد عمي!"

قالها زعنام من خلفي ساخراً، حزني الجرم غضبي، لم ألتفت  
حتى إليه وأنا أراقب سوسن مع أنني متأكد من أن له يداً  
فيما حصل لسوسن، فاسنمر هو متظاهراً بالتعاطف والأسى:

"معليش ما قمنا معاكم بالواجب، بس لو محتاج شئ  
تراء اذا تحت أمرك.. وبخصوص حبيبة القلب.."

التفتُ إليه وهممت أن أطفئ حزني وغضبي بتحطيم رقيته  
فاستدرك قائلاً:

"أي تهور منك رح يقضي على سوسن، عشان تصير  
جيت أجل جدك وحبيبته مع بعضنا خليك عاقل  
واسمع كلامي عشان نستفيد إحنا الإثنين.."

كلامه لا يعني سوى أن سوسن واقعة تحت تأثيره وقد يقوم  
بإيذاها أو قتلها! تعالكت نفسي بصعوبة شديدة ولم أستطع  
حبس دموع الحزن والقهر وأنا أقول:

"إش سويت لسوسن يا ملعون؟!"

"أولاً أنا جايك بكل أدب واحترام وحسن نية، لكن لو  
قلبت أدبك رح تضطروني.."

قالها فبدأت المؤشرات الحيوية لها بالا اضطراب فهرعت  
مرضتار إلى سوسن بقلق وبدأنا في فحصها وبخل الدكتور  
وبدا يتفقدتها بقلق.. زعنام يعني ما يقوله، وليس لدى خيار  
سوى الاستماع لظالمة للأسف! فواصل هو في استهتار بعد  
أن عادت مؤشرات سوسن لمعدلاتها:

"بعضي.. لما انشغلت إنت في أمور العزاء قلت لازم  
انتبه لأسرة الدكتور عبدالرحيم قبي غيابك، أولاد العم  
لبعضهم برضوا بس للأسف الدكتور طمع وبخل في  
خزعات الكنز والخدام والخرابيط دي واستعان  
بالمردة، وانت عارف إحنا ما نقدر نرفض طلب لأحد،  
بس.. لكل شئ ثمن..! ميزانية الدكتور ما كفت  
واضطر ياخذ عرض ويرهن البيت.. يلعن أبو الطمع!  
وفي النهاية ضيع شفا عمره ورا الأوهام، وأنا صديقاً  
سويت كل شئ أقدر عليه عشان يسامحه في بقية  
مستحقاتهم، وضحيت بجهدى ووقتي وسكنت بيتهم

بدل ما يرسلوا ما ارد غيري شرير عمك يقدّمها وكان  
اضطريت أنتحل شخصيتك عشان أتكلم مع سوسن  
وأسليها في غيابك، يعني.. ما هان علي أشوقها  
متلهفة وقلقانة عليك وكل ليلة تجلس تبكي عاتقها  
وتناديك بدون ما ترد، قلت أرد أنا.."

كل كلمة قالها زعنام كانت تمزقني حزناً وبخسباً، لوفة  
راودتني نفسي أن أقضي عليه انتقاماً لجدي وسوسن ولكني  
أريد التثبت بأي أمل يلقح حياتها.. واصل زعنام مسرحيته:

"جريت الحب معاهما في البداية روحها ما حسنت  
بوجودي، بس بعدين مشي الحال.. على فكرة سوسن  
مفلة جداً حاولت أسلى معاهم شوية سوت لي فيها  
شريفة وعفيفة وحساسة وزعولية، فاضطريت غصباً  
علي إني أتشكل قدامها بشكل لطيف.. بس ما أدري  
ليه اترعبت مني..؟ المهم لو قالت لك عيونك بالطول  
ونازلة تحت مستوى أفتك وراسك شبه الكحوى..  
فرجاء قول إيوه عشان مو لطيفة أطلع.. لا نصدي  
تطلع قدامها كذاب! المهم لما حاولت أوربها شكل  
حرجن حبيب القلب واتشككت بشكل أوسم من

شكلك بكثير ما قدرت تستحل وأصيبت بانهيار  
ودخلت في الغيبوبة..!"

اعرف أن زعنام يتلذذ بالتلاعب بأعصابي فقررت أن أضبع حداً  
لاستعراضه المستفز:

"زعنام اش تبغي مني؟"

"أبغى مصلحتنا ☹️ وإننا على فكرة أنا أسقت  
حياتك، ولا كان ال ردة قطعوك عشان ينتقموا  
لشن..!"

"شن مات؟"

"شن مات، مو من معركته مع جدك، ولكن من  
صرختك! أنا زبطت السيناريو اللي يفيدنا أنا وإننا،  
بس لازم تساعدني!"

وبدا يشوح لي خطته الجهنمية، الخطة التي خدع بها أعتى  
المردة والشياطين!

"أنا غيبتهم إنك كفت بتعاونتي من البداية، وإنك  
اختلفت مع آل النفر بعد ما عرفت إنهم طردوا أبوك

قرر زعناب أن يعرض طلباته بعد أن تأكد أنه لا مقر لدي من الخصب لها:

"تجي معايا وتسلم على الملك هياف وتقول له إنك ساعترى عشان نقتل النفري وتتزوج جمارى اختي وتجييب منها ولد وأول ما تسلمني الولد إنت حر سيب جمارى وللا حتى اقلتها وارجع للإنسية حقتك"

لم تكن أدري أن دعائي مبهمة عندهم لهذه الدرجة، عرفت أن نبي هو الوحيد الذي ورث قدرات جدي وأنا ورثتها بالتالي، وبعد أن يتسوا مني قرروا أن يحافظوا على بقاء هذه القدرات ويضمنوا ملك المستقبل من الآن، إبنها يريدونني أن أنجب من إحدى أقرب قريباتي ويتأكدوا من انتقال صفاتي إليه ويحتفظوا بقلدة كبدي ليصبح ملكاً للعرصة والسياطين! ماذا افعل يا ربي؟ بتر زعناب أفكاري الحائرة:

"حفل زواجك بجماري بكرة، ولو مو عاجبك ممكن أخليه أول أيام عزاء سوسن، الخيار لنا بكرة ساعة المغرب في حضرة الملك هيافا"

وانتبرأوا من أمك وإنك قررت تدبر معايا كمين لقتل جدك عشان عيون حبيبة القلب ولكننا كلنا انتعاجنا إنه جدك فيه رمق وقدر يقتل شئ قبل ما تعاوني على قتله، وإنك كذبت على أمك والنفور وفيهمتهم إنك كنت بتدافع عنه"

"الله يلعلك يا زعناب"

"تسلم حبيبي وعلى فكرة فيه فاعل خير راجح اليتمة ونبهم إنك شاركت في قتل النفري عشان حبيبك الإنسانية!.. ولو قرريت منهم رج يقتلونك إشي رأيك في التكتيك؟ إنت حر.. تفكر تقتلني في هذي اللحظة ونخسر كل شئ.. أو تخدمني خدمة يسيمة وتعيش أسعد حياة مع سوسن أو حتى ترجع لأمك معزز مكرماً ملك ولد ملكاً"

"أش المطلوب؟ أش بتستفيد مني؟"



"الله يلطف بها يس، والله ما قدرت أزورها عشان خايقة! كنت حاسة إنه اللي بتسويه ما حيثتهي على خيرا"

"أنا حرقت الوبجا وحرمت أنكم عنهم!"

"طب لا تجيبي سيرتها! يلا باي لازم أقفل!"

انبت أريج المكالمه، وبدأت خلود في الاتصال بشخص آخر، أسرع إلى يدها، أمسكت بالهاتف معها، حاولت أن أستخدم أصابعها كما فعلت مع أيباد موسى، لم تستجب أصابعها لحركة أصابعي، جن جنوني وصرخت:

"أبني أنكلنا حركي صباك أرجوكي!"

حاولت بانفعال، تحركت أصابعها حركة عشوائية ولكنها لم تستجب لحركتي، استغريت خلود من تلك الحركة، كنت أحاول أن أكتب أي شيء لتفهم، كانت تريد أن تتصل فحاولت مرة أخرى فاستطعت في النهاية أن أرفع أصابعها فتحركت على الحروف: S A .. فظهر اسم موسى ورقم جوالها في أعلى الشاشة، أطلقت خلود صرخة رعب مدوية عندما رأت اسم موسى ظهر أمامها فألقت بهاتفها بعيداً وكأنه رأس عفريت

قالها واختفى.. شعرت بالخدر في أطرافني، جلست أمام موسى أنفعلت وكأني نسيت أنه ليس أمامي سوى ساعات معدودة لإنقاذ حياتها، كان الزوار ينظرون لجسد موسى من خلال النافذة الزجاجية التي تخطيتها لأبقى بجوارها، أمس بيدي على يدها اليابسة وخدودها الذابلة وعينها المتحجرة، لمحت خلود من خلف الزجاج أنت لتزورها ولكنها لم تحصل رؤيتها لأكثر من دقيقة، همت بالمغادرة فتبعها على الفور، لا أعرف لماذا، ربما لأنها أملي الوحيد المتبقى للتواصل مع عالمكم، وهذه نقطة تفوق على المردة يجب أن أستغلها وأنا أتعامل مع داهية كزعنام.

ما حدث لموسى أصاب خلود بالوعب، بالذات وهي تشعر بأن للعبة الوبجا دور، كانت مشاعرها متلاطمة بين الحزن على موسى وبثأنيب الضمير على تعليمها على لعبة الوبجا وخوفها من أن يصيبها أذى من الجن الذين أدوا موسى، كيف سأتفاهم معها بعد كل هذا؟ يستحيل أن نحصل معجزة وتعب خلود الوبجا هذه الليلة، سمعتها تتحدث على الهاتف مع أريج وهي تبكي:

"موسى راحت يا أريج.. راحت"

يريد إيداءها، لا يهمني أبداً رعب خلود.. ما يهمني الآن هو  
أن أصل وبياي ثمن إلى إياد! يجب أن أصل إليه الآن قبل  
فوات الأوان..!

(10)

جماري.. ملاك بين العفاريات!

قد تستقربون لو قلت لكم أنني قضيت آخر ساعات ذلك النهار في الحرم، أمام الكعبة.. صليت العصر وكثرت أستغفر الله على ما فعلت وما سافعل، يا رب سامحني إن قمت بأي عمل لا يرضيك، يا رب أنت أعلم بحالي وحالي، أطف بنا يا رب.

انطلقت إلى جزيرة قماح، حيث قصر الملك هياث الذي يحكم ممالك المردة في جنوب البحر الأحمر والجزيرة العربية وشرق أفريقيا، الملك الذي كان يفتخر أن يكون أبي مكانه.

بصراحة تغير الانطباع السلبي الذي كنت أحمله طول عمري عن مملكة المردة، أحياناً نعم سلبيات من يعانينا أو يخالفنا الدرجة تجعلنا نقسم أنهم شر مطلق وأنا خير مطلق.. لا نعترف بعيوبنا ونتبرجج بتضخيم عيوبهم وكأنهم لا يملكون غيرها لكل شخص ميزات وعيوبه وأعدائه ودوافعه، وفي كل مجتمع خبيت بواطن طيبة، وفي كل مجتمع طيب مظاهر خبيث مهما ادعى الملائكية.. شعرت بالحزن عندما وطأت قدمي قماح، زرتها مع أبي آخر مرة وأنا طفل لم أتجاوز العشرين، بالرغم من الخلاف الذي كان يتفاقم بينه وبين إخوته كان يحرص على أن يربطني بأصولي وأهلي.. لقد تدهورت قماح، أصبحت خراباً بعد أن كانت القلب النايض لممالكنا.

تلك هي ضريبة الزحف البشري، فمع ازدياد انتشاركم ينحصر تواجدنا، تجولت بين البيوت الخوية، من التامر أن تجد أحداً مستيقظاً قبل المغرب، فقط بعض الكادحين على أرواقهم، لا تعنيهم تعقيدات الحياة، ولا يجدون وقتاً لمراجعة مبادئهم وتفنيد معتقداتهم.. فقط يكونون ليحدوا ما ياكلونه ويبيعهم على قيد الحياة لليوم التالي.. بالنسبة لهم التنظير في قضايا الفكر والمعتقد رفاهية لا يطالها سوى القلة النادرة، نظراتهم البائسة اخترقنتي وكثهم لا يروني، لم يلاحظوني سوى عملاقان تقدما إلي وسألاني بحزم عن اسمي وسبب وجودي في قماح، عندما أخبرتهم بأنني حوكن الفيحي تغيرت نبرتهم وتحولت للتقدير والاحترام المطلقان بيبيبة وقد أقول خوف أيضاً.. ربما لأن أسرة الفيحي تعتبر من الأسر الحاكمة لهم.. انطلقت معهما إلى علاج حيث انتقلت سلطة المردة، أصو الحارسان على أن يوصلاني بنفسيهما إلى بيت زعمام، استقبلني زعمام بحفاوة مربية، كان شخصاً آخر تماماً، ولكنه نسي خلافنا ومعاركنا، في البداية ضايقتي كرمه المبالغ فيه ولكنني في النهاية قدّرت إكرامه لي، أظنه لم يتوقع أن استجيب لطلباته، اعتقد أن زيارتي لزعمام أثبتت للجميع أنه نجح في لم الصدع الذي أحدثه أبي عندما تحداهم،

ولكنني منها اختلفت معهم فهم في النهاية أهلي في خلال ساعات بسيطة أعد زعمام وليمة كبيرة جداً على شرفي، دعا إليها عظم آل الفيحي وكبار أعيان البلد، لم أشعر في حياتي بهذا القدر من الحفاوة، كنت أتخيل أنني سأواجه حفنة من الشياطين المردة ولكنهم في الواقع فاجأوني بلطفهم، اعتقد أن زعمام حذرهم من الخوض في أي مواضيع دينية أو خلافات عائلية، لم يتعجبوا حتى من لكتني التي فضمت ثأري بإنس الحجاز بالرغم من أنني حاولت جاهداً التحدث بلهجة أبي، انصرف الجميع بعد أن الحوا علي أن أبقى على تواصل معهم، وأن القرابة تبقى فوق كل خلاف،

بعضنا وجدنا أنا وزعمام، لا يستطيع أن يتحاشى نظراتي المتماثلة أكثر من ذلك، ضيقتني بالمشروب واحتسى هو منه مستمناً ليثبت لي أنه لم يلفه بسحر، أعلم أنكم ستتساءلون: وكيف يتعرض الجني للسحر؟ السحر ياسادة عالم عميق ومعقد، ليس بالمطحية التي تتخيلونها، كما أن الجن أيضاً طبقات وعوالم مختلفة متداخلة، هناك من هم مثلنا يشبهون الإنس إلى حد كبير، وهناك شياطين سقيين لا نستطيع حتى أن نراهم أو أن نؤثر فيهم كالقراء مثلاً وخدام السحر.. بعيداً عن كل تلك التعقيدات شربت من كأسني كي أثبت لزعمام

ثقتي، أو بالأحرى لا مبالاتي فلم يبق لدي شيء لأخسره..  
ابتسم وهو يقول:

"ما كنت متخيل أبداً إنك شجياً الواحد ماله غير أهله  
يا ولد عمي! اللعنة على المصالح التي تفرقنا!"

لم أرد عليه سوى بابشامة ياهنة كاذبة فواصلت:

"صدقني يا حوجن كل اللي بامويه غصب عني! هنا  
ما فيش أي رحمة! يا تنفذ اللي ينطلب منك يا بقتاولك!  
وأنا اللي انطلب مني شيء مو سهل أبداً! أعصابك  
وأولاد عمك اللي قابلتهم اليوم كلهم مرعوبين! كلهم  
خافين يتدبحوا واحد ورا الثاني! كلهم متعشمين إنه  
بسيبك يحصلوا على شوية حصانة، مو بس  
الفحشين.. الكل متعشمين فيك كل خير، من يوم ما  
عمي ميحال ساينا اتدهورت أحوالنا، الملك فياف ما  
يرحم أحد.. ما رحم أولاده وأحفاده!"

دمعت عيني زغانم، هل يعقل أن يبكي شخص كهذا؟..

"أنا دفنت زوجتي وينتي بيدي. بس عشان فكت  
أعترض على إنني أصير عارداً صدقني يا حوجن

موقفك أهون من موقفك بكثير! إنت في أسوأ الأحوال  
رح تخسر إنسية! عجوز إنسية! يعني حتى لو  
عاشت، كلها أربعين خمسين سنة ورح تعجز وتعت  
قدامك وانت ما تقدر تسوي لها أي شيء! أربعين سنة  
تعدي في خمسة عشرين! أنا فحياتي على المحك! لو  
انفستك تعيش معانا وترجع لعرش جدك رح أكون أنا  
وزير! لكني متأكد إنك مستحيل تقبل بهذا الخيار،  
عشان كذا وعدتهم بنسلنا!"

صدق زغانم، فموقفه أصعب من موقفك بمراحل! حياتي التي  
كنت أتخيل أنها شاقة ومعقدة لا تغارن أبداً بالظروف التي  
بواجهتها أهلي هنا.. ولكني لن أتخطى أبداً عن مبادئني، وإن  
أفرط في حياة سوسن مهما كانت القضيحة! لن أسمح لنفسني  
أن أكون سبب عذابها! قطعت حبل أفكاري لأواصل الاستماع  
لزعناتي:

"مشككتك يا حوجن إنك مندقي ورا عواطفك ومثالياتك،  
وأنا أمشي ورا عقلي ومصلحتي.. مصالحنا كلنا!  
على فكرة أنا من جد ما أتمنى أحد غيرك يتزوج  
جماري. إنت عارف أنه ما بقي لي غيرها!"

نشاكيلنا وأبعادنا لا صفها لكم بشكل أدق، دخلت جماري وجلست في ضرف الغرفة ولم ترفع رأسها وهي ترحب بي:

"كيفك يا حوجن؟"

لم أرو عليها، كنت مشغولاً بتأملها، ولم يشغل زعمان نفسه بإذابة كومة الثلج بيننا فغادر الغرفة دون أن يتكلم، فارتبكت جماري وارتبكت أنا أكثر منها.. فحاولت أن أزيل بعض الإحراج:

"زمان عنك يا جماري.. كبرت، واتغيرت كثير.."

"كل شيء يتغير، ما في شيء يبقى على حاله.."

عانتها مفرقة بحزن يختصر الحاسي التي مرت بها وغيرت حياتها، فواصلت عني في تكليف الأجواء حيث فشلت أنا:

"ما تخيل في أمة عمي ميحال وحشني، ما زلت أتذكر لما كان يشيني ويلعيني وأنا صغيرة، كان دائماً يقول لي..."

بقرت عبارتيه عندما أدركت أنها لا تناسب أبداً حساسية الموقف، كنت أعرف أن أبي كان يشعر تزويجها لي قبل أن

تابع ولكنه فهم ابنسامتي التي استعادت له قاله بالأسر عن قتل جماري إن أدبت:

"أنا عارف ومشاكد إنك مستحيل تأذيها.. بالعكس أنا رح أطمئن على جماري معاك أكثر مني!.."

أطرق برأسه قليلاً ثم ناداها، نادى جماري:

"تعالني يا جماري.. تعالي سلمني على ولد عمك.."

في هذه اللحظة بالذات تذكرت ما قالت لي سوسن يوماً.. بالرغم من مهارتها في التحكم بمشاعرها، إلا أن الأنثى تبقى أنثى.. لا تستطيع مداراة غيرتها وفضولها، سألته سوسن يوماً عن جمال بنات الجن وكيف يقارن بجمال الإنسيات، ومن حمقي استطلدت في وصف طبقات جمال الحنيات الذي يتجاوز بكثير الرشاقة واللوان البشرة والعين والشعر، ولكنني استدركت نفسي، فسوسن في النهاية.. أنثى، لا غيرتها سهفة الا شتعال، أنا مشاكد من أن غيرتها كانت ستفجر لوزات جماري..! آخر مرة رأيته كانت مجرد طفلة لا تمت بصلة للحرورية التي أراها أمامي، رأيت اليوم ملاكاً يعيش بين العفاريات! كم أتمنى لو أنكم تعرفون مقاييس عالمنا وشعوبه

تسوء الأوضاع بينه وبين أعصابي، كان دائماً يتأديها: يا أم  
بيحال..

نجرت الموضوع.. أو بالأحرى دخلت في صلب الموضوع:

"اسمع يا حوجن، أنا متأكد إنني مستحيل أرتبط  
بأحد أروع منك بس..."

أشاحت بوجهها، وعينها الملائكتين تحاولان حبس دموعها:

"بس أنا مستحيل أرفض إنني أتزوج بالطريقة دي  
ما أرضاها لي ولا لك!"

"زُعام حكي لك عن التفاصيل"

"زُعام ما يخفي عني أي شيء، أنا وهو اتضارنا  
بسبب هذا الموضوع، لعلك أنا وافقت بس عشان  
ننقذ حياة الإنسانية المسكينة.."

"أنا رح أحاول أفاهم معاه وأخضع بفكها و..."

قاطعتني وقالت بيأس:

"زُعام ما بقدر يفكها زُعام متورط زيه زينا.  
الموضوع في يد الملك هيافاً الإنسانية لبسها واحد  
سقلي رابط على دماغها، أرسله الملك هيافاً عشان  
يخطف أكثر على أبوها ويضطر يرجع للساعر  
ويقدم الذبايح، عشان يفك سوسن من لعنة  
"حراس الكنز".. كذا قهقهه، الآن أبوها بيحاول يدبر  
هبلج كبير ويقدم الذبيحة عشان ينقذ حياة بنته، هو  
اللي جاب المصاب لنفسه! هو اللي فتح بيته للعردة،  
ما عمري شفت زي طمع ولجأه الإنسان..!"

توقفت عن الحديث عندما شعرت أن انتفاصها من الإنسان قد  
يجرّ مشاعري فسالتها:

"طلب علم أي أساس فُهمني إنه يقدر ينقذ حياتها؟"

"ما يقدر! هو من يأسه وعد الملك إنه يرجعك وطلب  
منه يرسله لبيت الإنسان عشان يقتنعك إنه ما فيش  
غايده من الإنسان ولا من الفلويين وترجع لنا، ووجودك  
هنا اليوم يثبت إن خطته نجحت! لكن في كل الأحوال

في هذه اللحظة دخل زعمام، وببده عقد النكاح لا يكاد يخفي  
توتره وضيقه من هذا الموقف:

"حرجن، هذا عقد إسلامي، وعندى اثنين مسلمين  
مستعدين بشهدوا إذا وقعت.. وعلى العموم الموضوع  
راجعك.. صدقتي أنا مستحيل أضر أحد إلا لو  
اضطريت!"

تذارت العقد، عليه توقيع جماري، نظرت إليها ولكن خجلها  
وتوترها لم يسمح لها بالنظر إلى عيني، فتركنتي بعد أن  
تركني أخوها، وجلست وحدي أتأمل ذلك العقد.. عقد زواجي  
بجماري..

لازم يقني الملك هياف إنه يفك جنبي الربط عن الإنسية  
عشان تفروق."

"ما عمري شفت أدعى من أخوك!"

"أخوي بيغري يعيش.. أنا كمان أبقي أعيش! لكني  
مستحيل أرفض أعيش عال على أحد.. أنا مو محزن  
غير الإنسية المسكينة، ونفسي أساعدها بأي طريقة.  
لا تحسب، إنني عندي أي مصلحة.."

ما أروعك يا جماري.. ولكن روعتك وجمالك وقرايتك لي شيء  
وحبي لسوسن شيء آخر تماماً. في هذه اللحظة بالذات تمثيت  
فعلاً أنني لم أحقق سوسن ولم ألتق بها يوماً..

"جماري، أنا مابقي لي أحد في هذي الدنيا غير  
أمي وانتو..! ونفسي كمان أسوي أي شيء أقدر عليه  
عشان أخلصك من كل هذا! خايفاً يس نخرج من هذا  
المازق ويعدها يحلها خلأل.."



(11)

ایوان الملك هباف

الملك هياف رمز السيطرة المطلقة الغير قابلة للنقاش مثل أنظمتكم المستبدة تماماً ولكن الفرق الوحيد هو أن ملك المردة يستعد صلاحياته من اللعين مباشرة والذي يمثل السلطة العليا في مملكة الشياطين، بينما تعارض أنظمتكم ظلمها بالاعتماد على جهل وفقر وخوف شعوبها وفوق ذلك ندعي أنها تستمد اعليتها وشرعيتها من الله مباشرة وباختيار شعوبها التي تسحقها ليل نهار.

وبالرغم من صلاحيات الملك هياف، إلا أنه في النهاية لا يعتبر سوى موظف بين يدي سياده، لا يستطيع أن يستغل صلاحياته لأغراضه الشخصية، فمصلحة اللعين فوق كل المصالح الأخرى.. القضية بالنسبة لهم ليست كما تصورونها انتم: إنسى وجع، ملانكة وشياطين، أخيار وأشرار.. القضية قضية مصلحة فقط. ليست لديهم أدنى مشاعر تجاهكم، هم يتفكرون ما يحافظون به على حياتهم وعلى في الجنس البشري متكمله.. ولكن قواعد اللعبة نحت أن لا يتخطوا حدودهم مع البشر إلا يدافع من البشر أنفسهم، شرور البشر وغفلتهم وبناءة نفوسهم هي المفاتيح التي تفتح الأبواب للمردة وللدخل في عالمهم، فما بالكم لو استعان الإنسان بالمردة وقدم القرابين لليكنهم؟ هذه هي حالة الكفر الصريح، إذا تم توثيقها

ويوصيني بنخذ الحيلة والحذر وتلقيني بما يجب أن أقوله وما يجب أن أتحدثه كي لا أعرض حياة سوسن وحياتها للخطر.

ثم أُر في حياتي مملكة أكثر تعديلاً وازدهاراً من ملج، لا أعني بالازدهار تلك الصورة النمطية التي في أذهانكم. نعم هناك القصور المبهجة والمباني العملاقة ولكننا لا نحتاج إلى منظومة الحلول التكنولوجية لتسهيل الاتصال والتنقل التي تعتقدون أنها هي مقياس الحضارة، جميعها اختراعات تساعدكم على التعايش مع قدراتكم المحدودة، حضارتنا تعتمد أكثر على الجانب العمراني والإنتاجي والعسكري.

كانت سوسن تسألني دائماً عن السر الذي يحجب عالم الجن بكل ما فيه ومن فيه عن عالم الإنس، ذلك الحجاب الذي فشلت جميع الوسائل العلمية المتطورة من جهنكم في تخطيه ورصد أدنى دليل أو علامة تثبت أنكم لستم الكائنات الوحيدة العاقلة في هذا العالم، لدرجة أن الكثير منكم ينكرون وجودنا أصلاً، مشككتكم غروركم، فكلما اكتشفتم جزئية علمية نافذة تعتقدون أنكم عرفتم أسرار الوجود وتلكرون كل ما لا يستوعبه علمكم الضئيل. الحياة أعمق وأعمق بكثير من النظريات والمعادلات التي نحاولون أن نحسروا تحتها كل شيء حاولت أن أشرح

من قبل العودة قلن عواندها مغرية جداً وعذا ما يسعون إليه دائماً. الدكتور عبد الرحيم كان جاهزاً للمرحلة الأخيرة من مراحل التقرب لهم، انطلقت عليه الخدعة وأصبحت تلك القرايب أملها الأخير لإنقاذ حياة ابنته وإنقاذ أسرته من الأزمة المالية.

أعرف أنكم الآن تتفكرون بالله من أفعال الدكتور عبد الرحيم، ولكن قولوا لي بالله عليكم لو كانت حياة شخص عزيز على أحدكم مهددة، وكان أمل الوحيد لإنقاذها هو في بيع تيس أسود عكس القبلة على افتراض أن دمه سيبعد العودة الأشرار.. فهل سيندو؟ لا تحكموا على الدكتور عبد الرحيم إلا لو مررتكم بمنزلة كمازقة!

ذهبنا لمقابلة الملك أنا وزعناب وجماري، زوجتي كانت متشبثة بلراعي وكانها وجدت ولأول مرة ملاذاً لمخاوفها، في العادة يستحيل تحديد موعد لمقابلته. وحتى إن وافق عليها لا تتم إلا بعد أسابيع أو أشهر، لكن الوضع يختلف مع حرص الملك هياف على لقائي أنا بالذات لا أعلم ما السرا قد يكون كل هذا مجرّد كمين لقتلي، للتخلص مني قبل أن أفكر في الانتقام من قتلة والدي، كل شيء جائز، ولكنني لا أحمل ذرة خوف واحدة، على عكس زعناب الذي كان يرتعد طوال الطريق

وإحداث بعض الأصوات أو التحكم في التيار الكهربائي أو الانبعاثات الحرارية والضوئية، ونصل إلى التجسد الفيزيائي الكامل في عالمكم المادي وهذا بالرغم من أن الكثيرين يدعون إلا أنه نادٍ وقد راح الكثير من الجن ضحية محاولات التجسد وفي المقابل لم ينح الكثير من الإنس الذين انتقلوا لعالمنا.

كان الطريق للقصر متكدساً بالحرس، لا نكاد نقطع مسافة قصيرة بدون التحقق من هويتنا والتأكد من أن الملك في انتظارنا. القصر بعد ذاته كان عبارة عن مدينة صغيرة نجت بالشياطين والمردة. لم يكن قصرنا محصناً وإنما مركزاً متكاملًا لتنظيم وتسيير شؤون ومشاريع المردة، بعد عهودنا من البوابة الرئيسية واجهتنا ساحة شاسعة في وسطها المبنى الرئيسي الذي يرتفع لمئات الطوابق على سطح الأرض وعشرات الطوابق أسفلها، وتناثرت حوله مجموعة من المباني بالإضافة إلى النماثيل العملاقة المنصوبة للملوك المردة والتي نوا بها من مختلف الممالك، وتحت كل تمثال خطت عبارات بلغات لا أفهمها، أتذكر أنني رأيت بعضها عندما كان أبي يطلقني عليها، بعضهم عاش من آلاف السنين، نعم أتذكر هذا التمثال بالذات. إنه حنانيل، تمثال لماود عملاق يحمل صخرة عظيمة على ظهره. نحتت الكثير من الرموز عليها، هذا كان من

ذلك لسوسن مراراً.. وسنجد حظي معكم الحياة عبارة عن مجموعة من الأبعاد المتداخلة. أغشية تغلف بعضها البعض، أضيفها هو البعد الذي يحتوي عالمكم. نعم بكل ما فيه من كواكب ونجوم ومجرات! تسمونه العالم المادي لأن ملحوس محسوس بالنسبة لكم. متابع الأبعاد التي تقلق عالمكم عوالم أخرى لا تشعرون بها: عوالمنا، عوالم الملائكة، عوالم الأرواح.. كل عالم يشعر بالعالم أو العوالم التي درته فقط. ولا يمكن الانتقال من عالم لآخر إلا بقدرات خاصة يهبها الله سبحانه لمن يشاء. أو باستخدام السحر المطلق وإسرار بابل أو بالحصول على امتيازات العفاريت والمردة. أقصى ما توصلت إليه علومكم هو أنكم اكتشفتم للنو بعض نظريات الأبعاد المتعددة، شاهدت الأفلام الوثائقية مع سوسن. اقتربت من حل اللغز من خلال النظرية التي سميتوها نظرية الأغشية أو الميمبرين، اعتقد أنكم بحاجة إلى بضعة عقود لإثبات وجود الأبعاد الأخرى الموازية لعالمكم بشكل علمي، إذا قلنا أتعب نفسي الآن بمزيد من الشروحات المعقدة، فقط تخيلوا أننا عالمان متماثلان متوازيان نشعر بكم ولا نشعرون بنا. كما يهمني أن تعرفوا أن قدرة التجسد في العالمين هي السلاح الأقوى للعفاريت والمردة وهي تتفاوت من التأثيرات البسيطة

مردة الملك سليمان ويحمل الكثير من أسرار مملكتك..  
اندهشت لدرجة أنني شعرت أنني أنزل عالم الجن لأول مرة  
شعرت أنني أنتمي لعالمكم أكثر من عالمي.. لم أتوقع أن أجد  
كل هذا التنوع في مكان واحد، المردة والعفاريت من مختلف  
أنحاء الأرض، مختلف الأجناس والأعراق، وحتى الديانات، نعم  
قابلت الجن اليهود والمسلمين أيضاً، تتساءلون ماذا أتى  
بالمسلمين بين مردة الشياطين؟ المصالح! مثلي تماماً، المسمى  
العيني لا يزكي أحداً، فنحنكم من يتنطق بالإسلام ويمارس  
أعمالاً لا تمارسها أعتى الشياطين!

عند مدخل المبنى استوقفا الحرس ونظروا إلي وكفهم  
يعرفونني، وبالنسبة لأحدهم بطريقة روثينية صارمة:

"حوجن بن مبحال الفيحي"

أومأت براسي إيجاباً، فشدني بفيلطة، وأزاد تشبث جماري  
بذراعي ولكن الحارس الثاني سحب ذراعها بعنف فأطلقت  
صرخة ألم، فهجمت عليه لا شعورياً وقبضت على رقبته ورأيت  
عينيه تجحطان فهب زعقاً لإيقافي وانقض علي مجموعة من  
الحرس لإبعادني عن زميلهم، واضطرب الموقف.. توكت رقبته  
دون أن أنزل عيني عن عينيه وقلت له وهو يتحسب الألم:

"لو لمستها والله لأموئلك!"

فرد علي دون أن يخفي صوته المختنق:

"رح نشوف حين يموت الثاني بعد ما نخلع المقابلة!"

أشار إلي رئيس الحرس بإشارة صارخة ليسكنه ودفعني أمامه  
وهو يقول:

"بس حوجن مسوح له بالدخول.."

فتت جماري بهلع:

"حوجن! انشبه لنفسك! ربي يحبك!"

لم أسمع هذه العبارة سوى من أمي، يا ترى هل أسلمت  
جماري؟ سألتها دون أن ألتصع فعمي، فقط بنظرة خاطفة  
وأجابتي هي بنظرتها الدامعة وأنا أبعد عنها والحرس  
يمنعونني من الدخول، قالت لي عيونها أنها سلمت نفسها لي  
عني كل شيء. حجيتني عنها الحرس الذين تجمعوا حولي بعد  
أن أتركوا مدى خطورتني وأخذوا يقتادونني وبدأ قلبي  
يخفق من شدة الخوف، ليس الخوف على نفسي،

ولكن الخوف على سوسن وجهاري.. وازدادت ثقات قلبي عنفاً  
ولنا اقترب من إيوان الملك هياف.. ملك المردة والشياطين!

(12)

ابي.. سانتقم لك.. او الحق بك!

أنتم أيها البشر تحيرونني، تشبهون بالحياة بكل شراسة  
بالوقم من أنكم لا تمكثون فيها سوى سنين قليلة، من يموت  
في التسعين عندهم معمر وعندها شاب لم يستمتع بحياته بعد.  
تقضون سنينكم القليلة في الصراعات والنزاعات الطاحنة  
واللهات خلف أطعاعكم التي تطالونها -إن حالكم الحظ- عند  
اقتربكم من لحودكم. الإنسان بطبعه جشع منوع.. يؤوس  
فلوع.. قنوط جزوع.. مع علمه أن أجله مقطوع.. وأنه لن يموت  
من جوع! لو كنت إنسياً وأعلم أنني لن أعمر سوى سنين أو  
سبعين سنة فقط. فسأقضي هذه السنين القليلة بين أحبابي،  
أشيع عنهم قبل أن أفارقهم وأندم.. كما تقدمون أنتم. راودني  
هذا الشعور وأنا أقرب من المكان الذي قد ألقى فيه حتفي.  
قد يكون هذا آخر أيام حياتي، أربعة وتسعون عاماً مرت  
عاشي سريعة. فيما عدا الأشهر الأخيرة التي مرت ببطء  
شديد ونوفت تماماً عند صورتين ملأتا وجداني: صورة  
موسى التي ترقد في المستشفى بين الحياة والموت، وصورة  
حماري التي تنتظرني بين المودة، كلاهما ليس لهما أمل في  
الحياة سوى.. إن كان هناك سبب يدعوني للتشبث بحياتي  
فيو أن أنقذ حياتيهما!

إيوان الملك يقبع في أسفل أدوار القصر، مساحة شاسعة مكتظة بمدرجات دائرية يجلس عليها حشد من أعيان المردة، تتوسطها طاولة مستديرة عبارة عن حلقة مفتوحة من ناحية بوابة الدخول، ارتص حولها وزراء المملكة وشيوخها، وفي الوسط تماماً مقعد تميز عن باقي المقاعد بارتفاعه وعلاجه منقوشة في أعلاه، علامة أعرفها جيداً، منتشرة عندنا، وعندكم أيضاً، علامة (إمبراطورية اللعين).

اقتادوني إلى وسط الطاولة الدائرية، بدأت الأصوات في الإيوان، وتطلعت الأعلى نجاهي، شيوخ الملكة ينظرون إلى نظرات باردة، لا تبدو عليهم أي تعابير، أعتقد أنهم من المردة المحمدين، لا أستبعد أن يكون من بينهم من تجاوز عمره الألف سنة! دخل الملك هياف بحركة سريعة ثم عن جديته ونشاطه وانشغاله، اعتدل الحرس في وقتهم ووقف الحضور فيما عدا الشيوخ الذين ظلت نظراتهم الباردة تجهنذي في مكاني، جلس الملك هياف وأشار إلى الجميع فجلسوا وعم الهدوء، والملك هياف متكئ بضجر يرمقني بنظرة متفحصة دون أن يتكلم، بدأت الهمسات المتوترة الخافتة في الإيوان.. أخرستها عبارة الملك المفاجئة بصوته الجهوري الأجش:

"حوجن.. وك مبحال.."

مض إلى الشيوخ نظرة ذات مغزى ثم استطرد وهو يتكئ على الحروف:

"الفيحي..! إش اللي جابك هنا؟"

استرجعت كل ما أصلاه علي زعناب، واستجمعت أطراف شجاعتي وأجبت:

"جيت أبلغك إني اتزوجت جماري بنت عمي سلومل..  
وينسلمكم أول مولود لي!"

بقي الملك هياف متكئاً بخده على يده يعيث بشي ما لي يده، لم ينظر حتى إلي وهو يقول:

"وبعدين؟ أش المطلوب؟"

"تفك الربط عن سوسن الإنسية، وترجعوا فلوس  
أبوها!"

اعتدل في جلسته وبدأ يصفق بيده:



"كيف قتلت شن؟"

كيف عرف أنني أنا قتلت؟ ألم يقنعهم زعمائهم أن جدي قتله؟  
وأنتي تعاونت معه لقتل جدي؟ وأصل الملك هياف وكأنه يقرأ  
أفكارهم؟

"لا يكون تحسب ولم عمك الأهل ضحك علينا؟ قال  
إيه.. قال الناري الشاب قتل مارو.. لولا إني كنت  
أيدي أقبالك كان قتلت زعمائهم من زمان! ورينا كيف  
طلعت الصرخة" أثبت لي إني أقدر أستفيد منك  
عشان ما أقتلك وأقتل الإنسية حقتك!"

"ما أوري كيف طلعت!"

ألقى إلي بالشئ الذي كان يبحث به في يده، سقط ذلك  
الشئ بجواري، إنه أحد هواتفكم النقال، هاتف قديم من  
أوائل الهواتف النقال التي صنعتموها، كيف نقلوه إلى عالم  
الجن؟ التقططه، وتعبجت عندما أمسكته بيدي بسهولة، لأول  
مرة أمسك بشئ من عالمكم، كان في ذهن الملك هياف  
سيناريو آخر لي-

"بصراحة.. كلامك مقنع ومفحم.. أش رأيك بالمرة  
نسوي لكم حقلة زفاف إنت والإنسية؟ وأوظف لكم  
شوية مرده يخدموكم؟"

قهقهة فجأة بشحكة عالية مستقرة، وضحك معه بعض الحضور  
رعباً من بطلته..

"لا.. بس تفك الربط عن سوسن، وتصرف المردة عن  
بيتهم.."

انزعته إجابتي الصارمة من لحظته الصاخبة.. فضرب على  
الطاولة بعنف وصرخ بغضب شديد:

"لا يكون صدقت نفسك؟ أنا مستحيل أصدق أنه عرق  
وادي فيج باقي له أي أثر بعد ما مات أبوك..!"

"أبويه انقلنا"

قلتها بغضب وتحد.. تلويحي واضح، ثار أبي قضية أخرى لن  
أدعها تمر بسلام.. سأفزع لها بعد أن أضمن سلامة جماري  
وسوسن! لم أكن أتوقع أن تربك ردة فعلي الملك هياف، الذي  
قال باضطراب:

"سمعت إنك تلعب مع الإنس بأجهزتهم. تعرف تشغل هذا؟"

القيت به وأنا أهر رأسى نقياً، نصرخ غاضباً:

"يووووه! أجل إيش فسايدتك؟ أسمع يا حوجن، إنت عارف إنه المردة ما يقدرؤا يدخلوا بيوت الإنس بدون سحر أو عقد، وإنت عايش بين الإنس. تقدر تشغل أي بيت، عندك قدرات العفاريت وفوق كذا عسلم ما يآثر عليك القرآن! نعرف لو رضيت تتعاون معنا إيش ممكن تكسب؟ ما تفرق معنا ديانتك ويتعب مني، كل اللي أحسنه عقد تعاون خمس سنوات يسر! وأنا مستعد أجيب المردة اللي يعالجوا أكبر أثرياء الإنس من المغرب وأعمالج الإنسانية من السرطان.. ولو حبيت أخليك تتجسد في عالمهم بشكل أوسم إنسي وتتزوجها وتعيش معاها..!"

كان عرضاً مغرياً للغاية، ولكنني في المقابل يجب أن أكفر، لقد كفر الكثيرون قبلي من جن وإنس طمعاً في إغرامات المردة.. كانوا مقتنعين أنهم سيتويون فور تحقيق مكاسيهم من

الشياطين، ولكنهم أصبحوا عبيداً لهم، وإن أَرْضِي بالتنازل عن ديني ولو من أجل سوسن!

"أعطيك مهلة تفكر؟"

"أنا قررت.. ما أحتاج المهلة!"

"يعني موافق؟ لكتب العقد؟"

"لا! أرفض!!"

"نحن اتناكثت إتك ولد حيحال! راسك بابس زيه!"

التفت ونادى بأعلى صوته:

"يا راعا!! أنا!"

أطل من خلفه مارد عملاق، بشع، وجهه مشوه، يتسم ابتسامة تزوده بشاعة.. يجعل شيئاً أشبه بالسيف أو الفأس.. يجره من ثقله فيصدر صريراً مزعجاً أثناء احتكاكه بالأرض. اقترب مني ورمقني بعينيهِ التي فقدت إحداهما بريقها ولمعت الأخرى مع الخوف الملك:

"نفسك تصير وزير يا راعان؟ هذا حوجن ولد ميخال اللي شوه وجهك! هات راسه وخذ المتخصص.. اء سامحني يا حوجن نسيت ما أعرفك على راعان.. أقوى مارء عندي.. الوحيد اللي قدر يقتل المارء الخاين.. ميخال"

إذا هذا المسخ هو قاتل أبي! اقترب مني وهو يضرب بسيفه الأرض ويقول:

"أكيد وحشك أبوك.. ولا يهلكها كلها لحظات وتلقه!"

زادت سرعة حركته فجأة لتصبح على بعد خطوة مني. وهوى بذلك الشئ على رأسي مباشرة. لم يكن هناك مجال للفوار. سيصيبني بسلاحه العملاق لا محالة.. اندفعت بكل قوتي نحوه وارتمعت به فترنح قليلاً ولطمني بيده لطمه ألقت بي على الطاولة الدائرية فتحطم جزء منها وجزء من جسدي. ارتبك الحكماء والشيوخ، فتسحبوا وغادروا القاعة مع مجموعة من الحضور بعد أن تحولت لساحة معركة شرسة! لم يأنه بهم الملك هياف الذي أخذ يتابع المعركة بجذل واستمناح. اقترب مني راعان.. ألا مي لم تسمح لي بالتحرك هذه المرة. رأيت سيفه يرتفع ويهوي تجاه عيني.. فأنغمضتها.. الوقت الذي يحتاجه

ذلك الشئ لينطر رأسي إلى نصفين لا يتجاوز أجزاء. ضفيلة من الثانية. ولكنني خلالها رأيت وجه سوسن. رأيتها تضحك لي. هل كانت ضحكانها ثنائيتي؟ تودعني؟ تلاشت صورتها فتأريتها بأعلى صوتي.. صرخت باسمها..

يفترض في هذه اللحظة أن أكون في عداد الأموات.. ولكن مع صرختي تغير كل شئ حولي.. شعور لا يوصف! وكأنني انتقلت لعالم آخر.. لقد انتقلت لعالم آخر بالفعل! ظلام داس. مياه باردة تغمرنني من كل جهة. لا أستطيع أن أنتفس. أصارت المياه بكل قوة. يكاد قلبي ينلجر وأنا أستमित لدفع جسمي بين المياه لألتمع أنفاسي. لم أستوعب وقتها أنني تجسدت في بُعدكم. مملكة ملاح ليست إلا بقعة في قلب البحر الأحمر. لقد نجوت من سيف راعان لأغرق في أعماق البحر! ازداد عنف ضربات قلبي.. وقبل أن يتوقف انتقلت مرة أخرى للعالم.. وجدت نفسي وسط الإيوان. تفصلني مسافة بسيطة عن راعان. نفس المسافة التي سبحتها وأنا في أعماق البحر. رأيت خلفي ينظر بدفعة للمكان الذي اختفيت منه. التفت محوي فأنقض علي بفضب وحوط عنقي بذراعه وسمعت الملك هياف يقول وهو يراقب راعان بمرور نصل سيفه على عنقي:

الوحيدة دون أن يبدي مقاومة.. وبسهولة انفصل رأسه وجزءه  
عن كتفه وفراعه.. أمسكت بذلك الجزء وأنا لم أستعد توازني  
بعد.. وألقيت به على حجر الملك هياف وقلت:

"أبيه بسلم عليك.. وهذا هدية منه"

"سَلِّمْ لي على أبوك"

شعرت بالسيف البارد على رقبتني، وتفجرت الأمي مع دعائي  
وأنا أحاول التخلص من قبضته، استجعت ما تبقى لي من  
قوة وأمل، أخذت نفساً عميقاً وصرخت بكل قوتي، فشعرت  
بالمياه الباردة تتدفق داخل فمي وقبضة راعان لا تزال حول  
عنقي، ولكنني تخلصت منها فلم يستوعب هو مفاجأة الانتقال  
لعالمكم وتجربة شعور الاختناق والفرق، التففت حولي واعتصرت  
رقبته بكل قوتي، وهو يتخطى بمنف من الاختناق ومن المفاجأة،  
لم أصب بالذعر هذه المرة، كنت على يقين من أنني سأعود  
لعمالي في الوقت المناسب، وفعلاً بعد لحظة اختفى الماء  
وسقطنا أنا وراعان وسط الإيوان بعد أن كانت الأمواج قد  
رفعتنا، تجاهلت الأمي وتوجهت نحو سيف راعان الذي وقع  
في المكان الذي كاد أن يذبحني فيه، تناولته، لا أعلم كيف  
استطعت أن أرفعه.. كان راعان يسعل بشدة ويمزحف على  
بطنه، أعلم أنكم تتوقعون مني أن أبدي مواقف النبيل والتسامح  
والعفو والأخلاق الكريمة، ولكنني لا أعرف النبيل والتسامح في  
دم أبي.. لم أتعمد قتل أحد من قبل، ولم أكن أتخيل أن  
التجربة ستمر بهذه السرعة، فقط رفعت ذلك الشيء.. تنكرت  
أبي للحظة.. وهويت به على جسد راعان الذي جحضت عينه

(13)

حياتي وحياة ايام... من اجل حياتك يا سوسن!

خرجت من ملاح شخصاً آخر يختلف تماماً عن الشخص الذي دخلها، خرجت أحمل عقد قراني بجماري، وعقد اتفاقي مع الملك فياف الذي وافق على شروطي بعدما تأكد من قدراتي، قبل أن يصرف جنسي الرِبط عن دماغ سوسن طعماً في الحصول على نسلي.. على ابني.. العقد ينتهي بعد مئة وخمسين يوماً بالخضبط (فترة حملنا وإنتاجنا)، لو لم يحصلوا عليه فسيفتكون الحمير بلا استثناء.. أنا وجماري وسوسن وعائلتها.. أنظر إلى حماري التي امتزجت هومها بسعادتها وهي تقبطني، لم تسألني حتى إلى أين سألذهب، لم تسألني أين سأسكنها، كيف سأصرف عليها، لم تأبه حتى أنها تروجتني لتقدم فلذة كبدها قرباناً لإفقاذ إنسية لا تربطها بها أي علاقة سوى كون زوجها مهووساً بها.. هل توجد من بين مئات الإناث من تقدم تضحية بهذا الحجم؟

وصلنا اليتمة، لا أعرف كيف سأواجه أمي بكل ما حصل، لا أعرف كيف سيكون وفي الصدمة عليها، ليست صدمة وإنما صدمات، دخلت اليتمة متوجهاً لبيت شيخ اليتمة، أخو جدي الياسين رحمه الله. مينة جماري ومالبسها كانت توحني إلى أنها أنت من مكان لا يعت لليتمة بأي صلة عرقية ولا دينية، النظرات المرتاية التهنئة، طرقت الباب ففتح الخادم وانطلق

بالعواطف التي حرمت منها، عواطف الأمومة لجماري التي لم تر أمها قط، وعواطف الابنة لأمي، لم تستأني أمي عما حصل، احترقت خشيتي من المواجهة فتوكلتني وثقلت الأمر الواقع، ما أعظمك يا أمي، ما يهمننا هو أن يطعن كل منا على الآخر، وكان صمتنا كافياً لذلك.

حتى شيخ اليتمة تغيرت نبرته معي وبدأ أكثر ترحيباً بوجودي بينهم:

"يا حوجن يا وادي، أنا جهزت لك بيت تسكن فيه مع زوجتك وأهلك، اعثرونا أهك.."

"سيدي الشيخ، ماني عارف كيف أرد جمالك، بس أنا لازم أرجع للإنس وأنفذ وصية جدي إلياسين.. لازم أسافر الليلة"

"أوعدي لما نخلص ترجع تسكن عندنا.."

"أوعدك أزورك كل ما الاتي فرصة."

يتادي أمي فورما رأي، لا بد أنها تتعزق حزناً وقلقا علي، مسكينة أمي، كم عانت بسببي، أنت راكضة لتستقبلني، وتباطأت حركتها عندما لمحت جماري، فاختصرت أنا ما بقي من خطوات لأرتمي في حضنها الذي استقبلني بفتور، وانكفات جماري على يد أمي وقدمها تقبلها وهي تقول:

"كيف حالك يا أمي؟"

أمسكتها أمي من ذراعها ورفعتها من انحنائها أمام قدميها وهي تقول:

"الله يحبيك يا بنتي.. اتفضلتي.. اتفضلتي.."

لا يستطيع شخص على وجه الأرض أن يعصف عظمة الأم، إحصاري لجماري لا يعني سوى أن هناك كوارث حصلت وكوارث أخرى ستحصل، ولكن أمي العظيمة استطاعت أن تعترض كل ذلك وتستقبل جماري بكل لطف، الأم تعرف كيف تنسج عواطفها لصلة أبنائها، تقسو عليهم لتدفعهم دفعا عن ما يضرهم، وإذا تضرروا تكون الملاذ المحاني لهم.. أما جماري فقد حملت أمي على أكفها، عاملتها كملكة وأكثر، عاملتها كواليتها، رأيت كل منهما تغدق على الأخرى

تسوّقت أمي حزناً ونحن نقادرها. ألحت علي أن تأتي معي  
ولكنني رفضت وبشدة، لا يمكن أن أعرضها لأي مخاطرة، قالت  
لي بعد أن ينسب من توسلاتها:

"حوجن، أوعدني إنك بترجع لي بخير"

أعتمدت عبارتها قلبي وألجمت لساني فأجابتها جماري:

"لا تخافني على حوجن يا أمي"

نقلت أمي رجاءها لجماري وقالت:

"انتبهني على حوجن، وعلى نفسك يا بنتي.."

ضمتها جماري وهي تبكي وتقول:

"حوجن لي عيوني يا أمي"

انضمت إلي حضنهما، وانطلقا أنا وجماري، ليس لنا مكان  
نسكنه سوى بيت الدكتور عبدالرحيم، بيت سوسن.

طلبت من جماري أن ترتاح في الغرفة التي كنت أسكنها في  
حديقة المنزل ولكنها ألحت علي أن أريها غرفة سوسن. لحسن  
الحظ كان شياكها لا يزال مفتوحاً، الغرفة التي تكسدت

بداخلها الآتية لم بتغير فيها شيء منذ أن غادرتها سوسن،  
كانت الغيرة تكتهم ملاحق جماري، فسوسن ابنة الإنسان المدللة  
التي حصلت على كل شيء حرمت جماري منه، الأسرة، البيت،  
حنان الوالدين و.. حبيها وهي في المقابل تضحي بكل شيء  
أيضاً من أجلها.. كانت جماري شعور يديها على مقتنيات  
سوسن وملابسها وأثاثها، لأول مرة تدخل بيتاً من بيوتكم،  
اقتربت من مجموعة الصور على مكتب سوسن، صور لها وهي  
طفلة يحدثها أبوها على كتفيه، صور لها في حفلة عيد  
ميلادها، وصور لها مع صديقاتها وصورة تخرجها من الثانوية  
مع والديها، كانت جماري تحاول جاهدة حبس دموعها، لا  
أعلم إن كانت تلك الدموع حزناً على سوسن أم غيرة منها..

"هذي سوسن"

أي رد من جهتي سيفضخ لهفتي عليها ويغجر غيرة جماري  
هاككتيت بالإيماء..

"معقول عمرها 23 سنة بس"

لم تصعني إيماءاتي نار جماري، فواجهتني ونظرت إلي عيني  
مباشرة وهي تسألني بالحاج..



"قول لي يا جوجن تحبها؟"

أشحت بنظرائي هارباً منها ولكن نظراتها طارفتني

"جاويتي يا جوجن.. إنت تحب سوسن الإنسية؟"

"جماري، سوسن من عالم وأنا من عالمنا ورطتها مع المردة ويألف وصية جدي إنني أخلصها وأخلص أهلها منهم.. أما إنت يا جماري بنت عمي و.. زوجتي!"

"بس؟"

أعرف أن إجابتي لمثلت في جبر خاطرها، بل حطمتها تماماً.. حاولت أن أوقع إجابتي ولكن كرامة جماري رفضت ترفيعي

"اعتقد إنني سعدت حدودي.. لازم تروح تطمن عليها.."

أشاحت بوجهها ونزلت إلى الحديقة لتطلق العنان لدموعها.

يجب أن أتصرف بسرعة، أهم شيء الآن هو أن أصل إلى الدكتور عبدالرحيم قبل أن يذبح التيس. الملك هياف وعظمي أن يصرف المارد عن دماغ سوسن، ولكن لو تم نبح التيس

فسيصبح الدكتور وأسرته تحت سيطرة اللعين وشياطينه! انطلقت إلى المستشفى، خرجت سوسن من غرفة العناية المركزة ولكن أسرتها لم تخرج من الصدمة، ترقد على سريرها، اختفت كل الأنابيب، ما عدا ذلك المتصل بوريدها، الدكتور يطمئن والدها:

"الحمد لله حالتها مستقرة، اليوم أول مرة تفوق من غيبوبتها، اختبار الوعي والإحساس إيجابيين، روح نخليها هنا يومين كمان عشان نطمئن عليها، وبعدها نقدر نرجع البيت ونبدأ في كورس العلاج الكيماوي.."

فاطمة الدكتور عبدالرحيم بمزيج من الأمل واليأس:

"يعني فيه أمل يا دكتور؟"

"الأمل بيد الله، والطلب يتطور يوم بعد يوم، خلي أملك بالله كبير يا دكتور.."

"ونعم بالله.. ونعم بالله.. الحمد لك يا رب والشكر.."

كان الإثنين يقفان عند باب الغرفة ويهسمان والسيدة رجاء نائمة على الكرسي الذي لم تدق النوم على غيره منذ أسابيع..

الجمعة الرعبا نظرت إلى الشاشة فرأيت أن المكالمة انتهت، قضعت على زر الاتصال وظهر أمامي اسم أبو عطية ورقعه ولكن الجهاز انسل من يدي وسقط، حاولت أن ألتقطه ولكن بلا فائدة، ثم بلبث في يدي سوى لحظة كانت كافية أن أحفظ رقم أبو عطية سقط الجهاز على الأرض وانطلق منه صوت أبو عطية المتوتر ولكن الدكتور عبدالرحيم لم يتجراً حتى على التناهي.

كل ما يمكن أن يوصلني بعالمكم الآن هو رقمان، رقم أبو عطية ورقم إياد.. لم أخبركم كيف حصلت عليه، في تلك الليلة عندما حاولت التواصل مع خلود وظهر أمامها رقم سوسن وأصبحت بالذعر ورمت بجهازها، حاولت جاعداً أن أرفعه، أو حتى أن ألهه، محاولاتي اليائسة وأنا أحرك أصابعي على شاشته بدأت في تحريك قائمة الأسماء، واستطعت أن أصل إلى إياد بامتدائه، وحفظت رقمه.

الآن حان الوقت أن أستعين به لإنقاذ سوسن، تأثيري على عالمكم شيء معدوم، كمن يشاهد فيلماً سينمائياً ويحاول تغيير أحداثه، لا بد أن أصل لأحد الممثلين ليعاونني على صياغة الأحداث... لقد أن أصل لإياد!

تلقي الدكتور عبدالرحيم اتصالاً فاستعجل في تدبير الدكتور ليرد على الاتصال الذي أريكه جداً فخفض صوته وهو يتحدث:

"أيوه أيود يا أبو عطية، قلت لك المبلغ مو كامل! ماني عارف أدبر الباقي! أخذت ثلاثة قروض من البنوك وقرض من العمل ورهنت البيت وبعثت السيارة واستلفت من كل اللي أعرفهم"

اكتست ملامحة بالرجاء وهو يواصل:

"بس مليونين كثير يا أبو عطية! عندي مليون ونصف تقريباً ما ينفي ياخذهم وأوعده أسد له الباقي بعدين، بنتي بتروح مني.. تسلم يا أبو عطية.. ماني عارف أودي جمالك فينا"

ذلك النوع أبو عطية لا بد أن أصل إليه وإلى صديقه المشغور قبل فوات الأوان! ولكن كيف؟ لا بد أن أرى رقمه، عدت يدي بانفعال إلى الهاتف يعد أن أبعده الدكتور عن أذنه، قبضت بيدي عليه، فاحسست بها ناعماً قطعة صلابة ملأت كفي.. سحبته فتحرك في يدي وأقلت من يد الدكتور عبد الرحيم الذي

في تلك اللحظة سمعت صوت السيارة، لقد عاد الدكتور  
وهذان، فقلت لإياد بكل توتر وتوسل:

"امخل الفيسبوك عشان سوسن!"

تبركت الساعة فوقعت في اللحظة التي فتح فيها عشان الباب  
فرز الاثنان وصرخ الدكتور وهو يفتح الأتوار:

"مين هنا؟ مين؟"

ليس لدي وقت لأضيّعه، فانتقلت إلى غرفة سوسن وأنا أدعو  
الله أن يكون في بطارية الآيباد ما يكفي للحديث مع إياد،  
مددت يدي للآيباد، ضغطت الزر لحضامات شاشته، حركت  
اناملي عليه باحثاً عن الفيسبوك، فتحتته بمعرف سوسن  
وبالفعل وجدت إياد فبدأت الحوار معه:

"إياد.."

"مو معقول! إنت مين؟ عشان؟"

"لا... أنا بأحاول أنقذ حياة سوسن.."

"إنت مين؟ اتكلم!"

عدت إلى البيت، جماري لم تنم طبعاً، جلست بجوارها،  
ضمتها، فأنا مدين لها بحضني.. لم يبق لنا غيره، ولم يبق  
لني غيرها، شعرت أن جبل هموسي وأحزاتي تنحى عني قليلاً  
خجلاً من حضنها، نامت جماري ببراعة طفلة تعبت من اللعب،  
دخلت بيت الدكتور واتجهت قوياً إلى الهاتف في غرفة  
الجلوس، استجمعت قواي، حركت يدي على الهاتف إلى أن  
تحرك روائع على الأرض، التقطته قبل أن يقع، رفعته وبكل  
سرعه وتوتر أدخلت رقم إياد، فشلت في المحاولة الأولى قبل أن  
أدرك أنني يجب أن أعكس الأرقام من اليسار لليمين، سمعت  
صوت النغمة المتقطعة قطعها صوت إياد:

"الو؟ مرحباً.."

"إياد؟ إنت إياد؟ تسمعني؟"

كنت أتكلم ولكن إياد لا يجيبني، كنت أعز الهاتف عي يدي  
وأصرخ، وفجأة انطلقت صرختي باسمه فرد علي يذعراً:

"ايوه أنا إياد؟ مين إنت؟ اتكلم إنت مين؟"

"مهما كان"

"مهما كان"

"حتى لو لمستك"

"لمستني"

"أنا بس أنا عشان أقدر اتعامل مع عالمكم وأساعده  
سوسن.."

كنت اتوقف رفضه.. أو هروبه، أو حتى صمته.. لكنه فعلاً  
لما جاني وفي نفس الوقت فجر غيرتي

"معال يا حوجن، أنا مستعد أخشي بعصري عشان  
سوسن"

"القصة طويلة، بس قبل لا تعرف أي شي لازم  
تجاوزني: حياة سوسن تهنك؟"

"طبعاً تهنني!"

"لاي درجة"

"أكثر مما تتخيل.. بس إنت حين"

ضايقتني كلماته، طعنت غيرتي مرة أخرى، ولكن طر في  
غيرتي.. طر في حياتي كلها من أجل حياة سوسن

"أنا حوجن!"

توقف إيراد عن الرد فضح رعبه وضح أنه على اطلاع  
بالقصص التي راجت في الكلية عن سوسن وعشيقها الجني..  
شجاعة إيراد هي الأمل الوحيد لإنقاذ سوسن ولن أسمح له بأن  
يتخاذل، حتى لو اضطررت للهدية، أخرجه من صمته:

"خايف مني?"

"لا كيف أقدر أساعد سوسن؟ أنا مستعد أسوي أي  
شي مهما كان"

(14)

جنون جماری

أنا الآن في أمس الحاجة إلى تركيزكم. قبل أن أواصل لا بد أن تفهموا معنى القلبس، ومرة أخرى القضية ليست أبداً بالسطحية التي تتصورونها فأعزوني مسبقاً على أي تعقيد وغموض. سنحاول أن أبسط شرحي قدر الإمكان... يُعَدُّكم أبسط من بُعَدنا بكثير، الإنسان عبارة عن منظومتين متمازجتين: منظومة مادية بدائية يمتلكها الجسم الذي يتكون من مجموعة من الأعضاء البيوكيميائية ليس فيها أي تعقيد سوى في الدماغ الذي يحوي مراكز التحكم والسيطرة المرتبطة بالمنظومة التي تنتمي للبعد الأسمى.. المنظومة الروحانية! لقد تطورت علومكم المادية كثيراً في حين تهللت علومكم الروحية، حتى الشعائر الدينية التي يفترض أن تكون مفعمة بالروحانية فتتفهمها فأصبحت طقوس وطلاسم مية بلا روح... كمائر أموركم الحيانية، كل روح مرتبطة بجسدها تسيطر عليه من خلال الدماغ، تفراخي هذه السيطرة أو تفلأشئ أثناء النوم والغيوبة حيث يفصل الإدراك الروحي عن مراكز التحكم في الدماغ ويسبح في البعد الأسمى. وعندما تحفز تلك المراكز تستدعي الروح التي تعود فوراً للسيطرة على جسدها، تنقلات الأرواح في البعد الأسمى لحظية، لا تكاد نحددها حدود زمانية أو مكانية، ولكن استيعاب

تتغير من الجان ليضدع السذج، وما أكثرهم! حالة التلبس الحقيقية نحتاج إلى تهيئة العديد من الظروف فالشخص الذي يتم تلبسه لابد وأن يكون في حالة بين الوعي واللاوعي، كما في حالة الانفعالات العاطفية القوية، كشدة الخوف أو الحزن أو الفرح، ولا بد أن يكون الجنى حوّن في التعامل مع الدماغ البشري، وهذه مسألة ليست سهلة أبداً، لا بد من التدريب المتواصل إلى أن يتقن الجنى التحكم التام في الجسد البشري.

سأعود للقصة الآن، قد استطرد في شرح هذه الأمور في وقت لاحق كما شرحتها لإياد الذي لم يكن مهتماً بمعرفة كل هذه التفاصيل بقدر اهتمامه بمساعدة سوسن، أرسل لي خريطة بيته، أو بالأصح قصرها والد إياد الأستاذ منصور الزايدى، من عباقرة رجال الأعمال، انتقل إلى جدة منذ أن كان إياد طفلاً لتابعة مجموعة مشاريع العقارية في جدة ومكة، إياد ليس له سوى أخ وحيد من أبيه يكبره بعشرة أعوام وتزوج دسئقر في الخارج، فبالتالي انصب دلال الأستاذ منصور وثروته على إياد، ليس ذلك فحسب بل انصبت أماله أيضاً على إياد ليمسك بزمام إمبراطوريته، إياد بخبيثته شاب مندفع يعشق الحياة التي حصل فيها على كل ما يحلم به أي شاب

خلايا مراكز التحكم في الدماغ لعودة الروح تكون بطيئة أحياناً، وأحياناً تكون معطلة لدرجة تجد الروح صعوبة في الارتباط مرة أخرى بذلك الجسد فتحصل الوفاة، هذا سبب الكثير من وفياتكم الغامضة، وفي المقابل ينجو الكثيرون من موت محقق بسبب تثبيت أرواحهم بجسامها وقدرتها على التحكم بئذئمنها.

ما يحصل أثناء التلبس هو ببساطة نوع من السيطرة على مراكز التحكم في الدماغ البشري في أثناء غياب جزئي لسيطرة الروح، وبالمناسبة أنتم تمارسون نفس الشيء فيما بينكم تحت مسمى التنويم المغناطيسي، وأحب أن أعلمكم أيضاً أن أكثر حالات التلبس التي تواجهونها ليست إلا تلبس ذاتي، نوع من الاضطراب الروحي حيث تقنع الروح نفسها أنها شخص آخر وتتقمص الدور ويصدق الجميع أنها تحت تأثير المس رغم أن الجن لا دخل لهم بها إلا في بعض حالات الشياطين الذين يوسوسون للروح لإيهامها بالتلبس، أي أن أكثرها ليست سوى نوع من الشيزوفرينيا. وهذا يبرر انتشارها بكثرة بين اليهوديين بأمور الجن والشعوذة، بيتها أكثرها وهم أو نجل أو تحايل باسم الغيبيات لدوافع شخصية، فمنكم من يفترف الجرائم وعندما يقتضج يدعي أنه كان تحت

"ماني عارف كيف تقدر اضيفك.. بس اعتبر البيت بيتك."

"لا تشيل هم.."

عكس العرة الأولى كان كلامي سلساً وواضحاً ومسموعاً، كنت أسمع صدى صوتي يريده رخام المجلس وحيطانه فتأملت أنني أصبحت قادراً على الكلام بسهولة وطلاقة دون الحاجة لأجهزتك!

كان إيد ينظر باهتمام تجاه الكتبة التي أشار إليها وكأنه ينظر إلى شخص حقيقي، وأنا قدرت ذلك بالرغم من أن نظراته لم تكن موجهة لعيني، بادرني بالسؤال الذي يلثم قلبه:

"حوجي ايخاك نشرحتي كل شي.. كل شي بالتفصيل.."

"القصة طويلة يا إيد.."

"أنا عا ورايا غيرك!"

الصحة المال الموسعة العقل والأخلاق.. عارض والده في دراسة إدارة الأعمال وأصر أن يخوض المجال الطبي ثم يحضر الماجستير في إدارة الأعمال ليوفق بين طموحه وطموح أبيه.

وصلت إلى ذلك القصر في منطقة أبحر أقصر شمال جدة في طائر دقائق بسيطة، فتحت إيد باب القصر ووقف أمامه ينتظر، الظاهر أنه يسكن ذلك القصر وحده مع الخدم بسبب سفر والديه المتكرر، اقتربت من إيد، استجعت تركيزي لأقنم عالمكم وغمست بقريه..

"إيد.."

كنت أتوقع أن يصاب بالرعب، أو أن يتلجأ على الأقل، ولكنه أجابني بكل هدوء وثقة:

"اتفضل يا حوجي.."

مشى أمامي وكأنه يراني.. تيفته إلى الصالون.. جلس على الكتبة وأشار إلي لأجلس في الكتبة التي يجوارها



كنت أن ألقى بالهاتف من يده قبل أن يتفوه باسم أمه ولكن  
فات الألوان للأسفل فأتوهي الخبيث أبو عطية المكاملة باقتضاب  
"طيب معلش عشان أنا مشغول الآن باسجل رقمك  
وأكتك أول ما أغضى.."

باجرت إياد فور انتهاء المكاملة:

"ليه قلت اسم أمك؟!"

"أيش فيها؟"

"هذا الخبيث شكله متحوس في مواضيع الشعوذة،  
طلب اسم أمك عشان يسأل المردة عنك ويتأكد إنك ما  
بتجهز كميناً دحين حيعرف ويحسب ألف حساب،  
ما حنقدر نوصل له!"

"يعني ضحك علي الحيواناً بسيطة.. ما أكون إياد  
لو ما جيت لك خير!"

"طيب أهم شي نستعد للمواجهة مع المشعوذ موسى  
والمردة التي صعا، لازم نوقفهم عند حدهم قبل لا  
ينبحوا القيس! لازم ندرج على التليس.."

قضيت فراية الساعتين وأنا أحكى القصة بتفاصيلها لإياد وهو  
صامت، ينظر للفراخ الذي على الكنية ويحسب دموعة المنحرفة  
على سوسن.. توقفت عن الحديث فسالني وهو يتناول فاتقه..

"كم رقم الرقت أبو عطية؟"

اتصل بالرقم وأنا أمليه، وتحولت نبرته الغاضبة إلى نبرة هادئة  
واثقة فجاء:

"السلام عليكم، أبو عطية؟ كيف حالك؟"

"وعليكم السلام.. هلا عين معاية؟"

"أنا إياد الزايدي، أقل الخير دلوتي عليك، قوسنا من  
يوم ما سكن بيته بيشوف كوايس ویده نعمل، فقالوا  
لنا انه البيت فيه نفس وأك شعرف شيو بتقدروا  
يساعدونا.."

"إنت إياد الزايدي؟ واد نورة عبدالمحسن؟"

"لا يمكن ملخبط، أنا والدني منال العقيل"

"يعني قوتك بكاملها! البشر ما يستخدموا غير جزء بسيط من قدراتهم الجسدية، أما طاقتهم الباطنة، أو الكامنة فتتفجر في المواقف الحرجة.."

"يعني شغل أدرينالين ونورادرينالين؟ حساس! أنا جاهز.. كيف نبدأ التدريب؟"

"لازم تكون في حالة بين الوعي واللاوعي.. وضروري تكون بعيد عن أي أشياء صلبة أو حادة.."

"طيب اللاوعي وفهمناها.. بس اش حكاية الأشياء العلية؟"

"الدماغ عضو حساس، وعملية التلجس في البداية تصاحبها اضطرابات في كهرباء الدماغ وبالتالي نوبات تشنج وصرع.."

"طه هذا ما فيه خطورة على القلب؟"

"على فكرة أنا دكتور زيك.. لا تخاف روح انتبه!"

بحث إيد في صيدلية المنزل ولحسن الحظ وجد الترامادول الذي يستخدمه والده لتسكين الآلام والذي يسبب حالة من

"طب ليش التلجس؟ أنا أقدر أواجههم وأبلغ عنهم الشرطة وأرعيهم في السجن!"

"أولاً لو دخلنا الشرطة رح يتورط الدكتور عبدالرحيم، وثانياً إنت ما تقدر تشوف المودة التي مع المشعوذ وما تقدر بتأثر فيهم!"

"يعني لما تتلبسني حاقدر أشوقهم؟"

"أنا اللي حاشوقهم وفي نفس الوقت حاقدر أسيطر على جسدهم عشان أتعامل مع الإنسان، أنا إلى الآن ما اتمرنش على التجسد الكامل في عالم الإتي. ولما أنقل لعالمكم احس بضعف وبريد وكثرة وما أقدر أقعد فترة طويلة.."

"يعني جسمى رح يصير زي السيارة بالنمبة لك.. رح تمير تملك قوشتي كلها!"

"بالضبط، روح أطلق قوتك الباطنة.."

"الباطنة؟"

تجسدت في البعد المادي أمسكت من كتفيه مززته بقوة وأنا  
أنا فيه، أملت على جانبه، هدأت تشنجاته، استعاد وعيه ببطء،  
وتحدث إلي بصعوبة:

"هذه زبطة؟ كيف كان المتيست (رايق)؟"

يستطيع أن يمزج وقبل لحظات كاد أن يودع الحياة

"لأزم تنمرون أكثر من مرة... تقدر تقوم؟"

نظر بعينين متناقلتين إلى مصدر صوتي ومد يده وهو يقول:

"تقدر تقوم؟"

مددت يدي المتجسدة، قبضت على كفه لا ساعده على  
النبوض... فيادرمي:

"تعال يكره نكمل...!"

"نام كويس... لازم جسمك يكون مرتاح!"

"استنى لازم أعطيك حاجة..."

دخل البيت وعاد بسرعة ليناولني هاتفه المحمول:

الخدر فتناول قرصين وخرجنا إلى حديقة المنزل... تربع هي  
وسطها كثة يمارس اليوغا عض على منشفة بين أسنانه وأغلق  
عينيه، راقبت ألوان طاقته، حسنت أن أدخلكم في دهاليز علمية  
أخرى باختصار نستطيع أن نرى الطاقة المنبثقة منكم والتي  
تبين لنا الكثير عنكم، بدأ مقول الدواء فتحركت بسرعة قبل أن  
يسيطر التعاسر على إنياد، جلست مكانه تماماً وأغمضت عيني  
وركزت على خفوت طيفه البنفسجي، يجب أن أحرره على أن  
لا اتجسد في عالمكم أثناء المحاولة وإلا ساقطته، شعرت برجفة  
شديدة في جسدي وأنا أنظر إلى يديه وهي ترتجفان  
ويتقلصان، ازداد شعوري بالرجفة، أدركت للقو أنني أشعر  
برجفتة هو... تصلبت سيقانه، شعرت بالألم الشديد في أنحاء  
جسمي، حاولت أن أفتح يديه بلا فائدة كانت الرجفة تزداد  
وعينيه نصف مفتوحة ومتصلة للأعلى وسيقانه تضرب الهواء  
بشدّة وأنا أشعر بكل ذلك! أشعر بكل التفاصيل، أشعر  
بطفقان قلبه بشده داخل صدري... لا بد أن أتوقف قبل أن  
أؤذي... ابتعدت عنه بهدوء، زال إحساسي برجفتة، ولكن رجفتة  
استمرت، بل ازدادت، تحول وجهه للون الأزرق وسألت رغوة  
بيضاء من بين شفتيه، لا بد أن أفيقه قبل فوات الأوان! بعد أن  
تأكدت أنني لم أضر جسده ناديت بأعلى صوتي فلم يستجب!

"من الآن وصاعداً ما روح أستغوب من أي حركة  
سحرية! شفت جوالي يختفي أمام عيني، طلعت كلها  
حركات بسيطة! خلاص أنا أسد الفواتير وإننت دبر  
نفسك في شحن البطارية، بس لا تطغرنني بمكالمات  
دولية لخوينك في بلاد الجزن والعقاريت.."

نكرتني دعابته بجماري، فودعته وعدت إلى بيتي، بيت  
سوسن.. بصراحة آخذني الوقت لدرجة أنني نسيت وجود  
جماري لوحدها كل هذه المدة، فزعت عندما لم أجدها في  
غرفتنا في الحديقة، توجهت فوراً إلى غرفة سوسن، فأنا متأكد  
أنها عادت إليها.. دخلت من شبك الغرفة فرايت آخر شيء  
أتمنى رؤيته في هذه اللحظة.. رأيت سوسن!!

سوسن تجلس على طرف السرير، تليس مجموعة من ملابسها  
بشكل غريب جداً، قميص مقارب فوق أحد الفساتين وتحت  
حيزر. كانت تحمل إحدى الصور بيد وبالأخرى تعبت بالوان  
التيكاج على وجهها بشكل مضحك وكأنها طقطة، إنها جماري!  
جماري متجسدة بشكل كامل في عالمكم وتقلد سوسن! موقف  
لا أستطيع وصفه، التفتت إلي وأبتسمت وهي تقول:

"حوجن إنت جيت؟ إش رأيك في شكلي؟"

"ما أدري تقدر تشيل هذا الجوال معاك؟ خذ هذا  
جوالي الاحتياط عشان تقدر تكلمني أي وقت.."

تجسدت، تناولته.. نظر إليه وهو يرتفع بمساراة آتني قلاحظ  
طولي..

"حسبتك عملاق يا راجل.. طلعت قليلاً"

"خلينا نجرب.."

دفيت على رقمه الذي أحفظه عن ظهر قلب.. تناول جاوله  
الأخر..

"أه Dr. E Z يتصل"

"دكتور إي زي؟ إياك الزايدي؟"

"طبها.. اسم لعله!"

توقف تجسدي، فعدت وعاد الجوال معي في يدي، في عالمي،  
حاولت أن أضرب الرقم ولكن الشبكة اختفت من الجوال، لا بد  
أن أتجسد كي أتصل..

لقد جن جنونها! بل جن جنوني أنا! لماذا تفعل كل هذا بنفسها؟ هي أجمل مخلوقة رأتها عينايا! لماذا تشوه نفسها هكذا؟

"جماري اش هذا؟ أخرجني بسرعة قبل لا أحد يشوفك!"

تجاهلتني وهي تنظر للصورة سوسن بين صديقاتها وتقلد مكياجهن..

"لحظة بس باقي شويه وأكمل.."

سمعت خطوات أقدام تقترب من الخوفة..

"جماري فيه أحد جايا! بلا نخرج بسرعة!"

لم تستجب.. بل تأملت وجهها في المرآة وهي تفارقه بوجوه البنات في الصورة

"يعني ما عجبتك يا حوجن؟!"

لم أتمالك نفسي.. تجسدت في اللحظة التي فتح فيها الباب وأطل الدكتور عبد الرحيم بقلق ورعب، اضطريت أن أصفع جماري وأسحبها لبعديا ولكن بعد فوات الأوان، رأيت نظرة

الرعب في عيني الدكتور بعد أنا رأى ابنته بهذا المنظر تختفي أمامه وتنقطع ثيابها وصورتها على الأرض..

لم أتكلم مع جماري كلمة واحدة، ولم أسمع منها سوى صوت نوحها، جماري.. عفتي؟ ولكن كيف؟ لماذا لم تخبرني؟.. كان قلبي يتعزق حزناً عليها، لأول مرة أحزن على شخص أكثر من حزني على سوسن، حاولت سحبها لحضني، فرفضت لشدة غضبها.. نظرت لعينايا مباشرة.. مسحت دمعها، فتفجر نهر دموعها وعادت لتدق رأسها في صدري.. وأنا أمسح على رأسها وخديها..

"سامحيني يا جماري.. سامحيني.."

(15)

سىپىرت ەلى اباد،، والامىرغىنى

أعتقد أن هناك علاقة قوية بين الأنثوية والطفولة، فالأنثى مهما  
 مضجت لا تبتعد كثيراً عن تلك الطفلة بداخلها، الطفلة التي لا  
 تستطيع السيطرة على دموعها ولا على دلائها، ولو نمردت  
 على طقولاتها فهي تتخلى عن بعض أنوثتها وجمالي بهذا  
 المفهوم أنثى بامتياز.. هدأت دموعها ولكنها لم تتوقف، لم  
 تكفي بقايا دموعها لتفيس الاسمها فقررت أن تنفس عنها  
 بكلماتها، كانت تتكلم دون أن ترقع رأسها عن صدري.. ودون  
 حتى أن أود عليها بكلمة واحدة.. طفلتي الآن ليست بحاجة  
 إلى عقلي ومنطقي.. فقط تحتاج إلى قلبي أبصني لها  
 ويمر دموعها..

"طول عمري وحيدة محرومة من حنان أمي.. وأبوي  
 ما عوضني عنها غير بقسوتهم! كرهت أهلي كلهم،  
 كنت أقرب منهم عشان العبد لوطني، الوحيد الذي  
 كان يحن علي هو عمي ميخال.. ما كنت أدري إنه  
 فيه عوالم غير عالمنا، إلين ما زادوا الإنس في قماح،  
 كنت أشوفهم يوقطوا قواربهم عشان يرتاحوا بعد  
 الصيد، كنت أصحى من قبل المغرب عشان أراقبهم  
 من بعيد، حاولت الفت انصياهم بكل الطرق.. ما  
 قدرت، في يوم دخلت سفينته أتفرج، وأنا في المخزن

وأنا عليها بدون ما أحس.. ما انتبهت إلا لما بعدنا عن  
فتاح.. اتشككت على شكل إنسية وانخبيت، وصلنا  
قرية القصار ولقيت نفسي وسط الأنس. كلهم  
مستغربين مني يسألوني عن أهلي وأنا أبكي، إلين  
ما جاعم عني ميحال متجسد على شكل شيخ  
وفهمهم إنه جدي، ورجعني البيت، في الطريق حلفني  
ما أقول لأحد إنني أقدر أتجسد أو أتشكل، لأنهم لو  
عرفوا ما رح يسببوني. إفت أول واحد يدري إنه عندي  
كل قدرات الفحيين بعد عني ميحال، حتى زعمام ما  
يدري، أنا وإنت الوحيدين اللي نملك قدرات الفحيين  
يا حرجن."

الآن فهمت سر رغبة أبي في زواجي من جماري، للمحافظة  
على نقاء النسل الفحي.. نتأفل رأس جماري على صدري  
وتناقلت آخر كلماتها.. قبل أن تمسك طفلي للنوم.. وأسلم  
نفسي أنا له..

لم تمر سويحات حتى انطلقت موسيقي مزعجة فجأة فاكشفت  
من مصدري جوال إباد، تجسدت بسرعة لأرد قبل أن يوقظ  
جماري..

انتقل على الباب، اترعيت.. حاولت أفتحه ما قدرت!  
حاولت أخبط ما قدرت، بعدين من رجلي حسيت  
ببرودة وكتمة وكنت متأكد إنني رح أعوت.. قععت  
أخبط على الباب، وهذي المرة حسيت بخبطة الباب  
على يدي عورتني، وسعمت صوتها.. كانت أول مرة  
أتجسد في عالم ثاني.. فتح الباب ولقيت قدامي  
حسين، إنسي صغير غريب، كان يقدر يحس بي  
ويسمعي حتى من غير ما أتجسد ولا أتشكل، كنت  
دايماً ألقب معاه، تلعت عنه طباع الأنس ولفتهم.  
وفي فترة بسيطة صرت أقدر أتجسد بسهولة من غير  
ما أنكتم، وصرت أقدر أتشكل لما أقابل حسنة، كنت  
لما أوصل للعينا أرمي حجار على السفينة عشان  
حسين يعرف إنني جيت، ولكنه بعد فترة اختفى. قلقت  
عليه، صرت أدور عليه في السفن لما شجي بدون  
فايده، حتى أبوه اختفى.. وبعد فترة لحت أبوه واقف  
على سطح السفينة والناس متجمعين حوله، طلعت  
السفينة وسمعتهم يقولوا له: عظم الله أجركم.. لله ما  
أخذ ولله ما أعطى.. وهو يبكي.. عرفت إن حسين  
مات بالحمى.. جلست أبكي على السفينة، واتطلقت



انطلقت إلى إياد، دخلت من بوابة الفصر فوجدته جالساً على الأرض أمام شاشة تلفزيونه العملاقة وحوله كومة من الأفلام المبعثرة، عندما دخلت قال لي وكأنه يراني:

"اجلس يا حوجن"

"كيف عرفت إنني وصلت؟.."

"خلاص أنا صرت أعتبر سخاوي ومحترف للخوارق وما وراء الطبيعة!.. أوكي لا تصدق.. قلت أفضل يا حوجن عشر مرات وانخيلت إلين ما حضرك شرفت وزبطنا"

"ميرك كأنها جمر.. إئت ما نمت"

"لا طبعاً من فين بييجيني النوم بعد اللي حصل!.. لك في الأفلام يا حوجن"

"عالمنا ما فيه سينمات"

"ضحكتني حتى إحنا ما عندينا سينمات! تعال شوف هذي كل الأفلام اللي تتكلم عن النجى والأرواح والتلبس.."

"إياد؟"

"المفروض تشوف المتصل قبل لا ترد يا كاتب! لا تروح ترد على أحد ثاني بالفلط وتودينا في داهية.. المهم تحال خليتنا نكمل تمرين!"

جماوى التي استيقظت على صوت الهاتف المزعج اعترضتني وأنا أهم بالذهاب:

"فين رايح؟ إئت ما لحقت ننام"

"رايح لإياد"

"حاروح معاد"

"لا خليك هنا، لازم أحد معنا يجلس هنا، ممكن المشعوذ يجي في أي لحظة.."

"طلب لو جا المشعوذ اش أسوي؟"

ناولتها هاتف إياد...

"هذا جوال، تقدرني تستخدميه بكل سهولة.. هذا رقم إياد.. أضفني عليه عشان تكلميني لو حصل شي"

شاهدت معه مجموعة من اللقطات لأقلام أجنبية للعتابسين والقساوسة الذين يخرجون منهم الجن.. فبادرتي بسؤاله:

"نفس الشيء يحصل عندنا، فيه بزئوس كبير يعتمد على تطليع الجن والسحر والعين.. شايف اللي بيحصل للعتابسين؟ أنا بيحصل لي نفس الشيء صبح؟"

"صبح.. لكن هذولا حافهم متلبسين؟"

"إنت بتجنّذي؟ شوف أش اللي بيحصل ليه.. بيتنفضوا ويسروا حركات غريبة ويتكلموا كلام غريب بأصوات مرعبة.."

"أكثرها تقمص.. مو تلبس؟"

"يعني أنا دحين جالس بالكلم نفسي واتقمص دور إنه فيه جني جالس جنبني يطلق حنك؟"

"لا طبعا.. بس لازم تفهم إنه الروح.. أو خيلنا نقول العقل الباطن له أسرار كثيرة وقدرات كبيرة.."

أي متوم مغناطيسي مبتدئ يقدر يظليك تقتنع أنك ضدع مثلاً وتتصوف زي الضفادع.."

"يعني ما فيش حاجة اسمها سحر وعين ومس؟"

"طبعاً فيه، بس مو بالطريقة دي، تلاقي ناس عايشين حياتهم موسوسين انه كل مشكلة يواجهوها سببها عين وسحر ويلجأوا للناس والجن عشان يعالجوهم من أمراضهم الروحية، وناس يسترزقوا من ورا جهلهم وفلة إيمانهم"

"أسمع، أنا باقبلي تكة وأفصل! قول لي كلام علمي أفهمه!!"

"روحك.. أقصد عقلك الباطن يقدر يسيطر على كل شيء في جسمك.. أهم شيء تقدر إنت تسيطر عليه! كيفه تقدر تشابه طقوس تطليع الجن في كل أنحاء العالم وفي كل الثقافات؟ وإذا كانت مظهر ديني ليش ما سمعنا إنه أحد من الصحابة سواها؟ وليش ما تلاقي هذي الظاهرة منتشرة غير في المناطق اللي أهلها مهوسين بمواضيع الجن والسحر والمس؟ الموضوع يبدأ بوسوسة للشخص إنه ملموس أو معيون"

أو مسحور، قد يكون مصدر الوسوسة الشياطين، أو الناس التي حوليه، أو حتى من نفسه، تتوكم هذي الرسائل وتقوى حتى تتبرمج كقناعة في عقله الباطن ولما تبدأ طقوس تطليع الجن يتم تنويمه مغناطيسياً فيستجيب العقل الباطن ويتصرف على أساس أنه فعلاً ملموس ورؤية فعله للشئخ أو القسيس أو حتى الكاهن تكون عبثية على قناعاته، المهم إنت ليش تسال كل هذي الأسئلة؟ خايف؟

"أنا أخاف؟ تعال معانا وأنا أوريك الخوف من جد!!!"

تناول حقيبته وانطلقت خلفه، فتح بوابة القراج فظهرت سيارة رياضية لم أر مثلبها على الطرقات، حمراء منخفضة مضلعة على مقدمتها صورة ثور وعليها لوحة تحمل حروف اسم إيباد والرقم 1111..

"هذي التي رح نرعبنا أنا وإنت.."

"هذي السيارة؟"

"ياخي حرام عليك؟ سيارة؟ هذي لا مبررغيني.. لا مبررغينيبي!"

"أش تفوق عن باقي السيارات يعني؟"

"هذي الله يسلمك زي المونيانا بالزيط بس تقدر تمشي 360 كيلو في الساعة.. 111 وكمان سعرها مليون وشوية! أطلع بس أطلع!"

فعلاً السيارة غريبة.. بالذات بابها الذي يفتح للأعلى، جلست بجواره، ضغطت على زر التشغيل فانطلق مدير المحرك..

"شوف يا حوجن، السوافة ما هيش أبسط منها، هذا التريكون قلغه يمين وشمال.. وهذا البترين عشان تسر؟ وهذي الفرامل عشان توقف!"

"إنت بتعلمني، ليش؟"

"عشان هذي الطريقة الوحيدة التي نقدر نحط فيها عقولنا الباطنة على قولك تحت ضغط وتحدي عشان نتعلم والتألم يزيط!"

"ما فهمت!"

"نحن نفهم!"

وداس على البنزين فانطلقنا بسرعة. لم يدع لي فرصة لأعترض، بدأت لاحظ يديه تتراخيان وجفناه يتثقلان، ركزت على طاقة جسمه، شعرت بيديه، رأيت الطريق أمامي والسيارات متدفقة صويي. بدأت أصابع إيداي بالانكماش وازدادت رعشة. حاولت التحكم بساقه ولكنها تصلبت على البنزين ونحن مندفعون نحو حافة الكوبري، حاولت بكل قوتي رفحها إلى أن استجابت فهدست على القراميل بقوة فتوقفت السيارة بشكل مفاجئ وسمعت أصوات فرامل السيارات خلفي نكاد تصطدم بنا، ارتطم رأسي إيداي بعنف في دريكسون السيارة فشمعرت بالم رهيب في جيبتي وأحسست بضغط من الدماء الساخنة على جبينتي. استطعت أن أدوس على البنزين بعد أن سيطرت بشكل كامل على إيداي وسيارته، وانطلقت مبتعداً عن السيارات وعن أصحابها الذين لاحقونا بأبواقهم القاضية وشنائيمهم اليزينة. لم تمض لحظات حتى أصبحت أقود ذلك الشيء بسهولة، انطلقنا في طريق المدينة، دسست على البنزين ورأيت عداد السرعة يقترب من حافته وأنا أناور بين السيارات التي نمشي ببطء شديد وأراها تمر بجوارنا كأنها خطوط لا يقطعها سوى ومضات الكاميرات التي على جانبي الطريق... بالرغم من كل هذا لم تكن سرعة بالنسبة لي، بهذه

قالها وأفرغ محتويات حقييته فتساقطت مجموعة من الأدوية وعلب مشروب الطاقة، تناول التراامادول الذي يسبب ارتخاء وخدر ودواء آخر، فمسأته:

"أش هذا الدواء؟"

"دكتور وما تعرف التبغراتول؟ دوا تخفيف كهرباء الجسم والدماغ! جبت كمان ريد بول عشان لو احتجت الفوق وأصبح! بس أهم شيء دوا الهيلي ميتال!"

قالها وضغط على زر فانطلقت موسيقاه المزعجة جداً بأعلى صوت ويلع كبسولتين من كل دواء وانطلق بالسيارة خارجاً من بوابة بيته..

"أسمع يا حوجن.. عندك خمس دقائق مراقبني وأنا أسوق عشان تتعلم، بعدها رح أبدأ أنعم، وقتها لازم تتولي أنت قيادة السيارة وقيادة جسمي كمان.. شوف لو حصل لي أنا أي شيء مو مشكلة! بس لو حصل شيء للسيارة والله لأحرقك فاهم؟!"

السرعة لن نصل للثبته قبل ساعة، بينما أستطيع وأنا في عالمي أنا أذهب للثبته وأعود في نصف ساعة

رأيت سيارة شرطة في الأفق، أشعلت جميع أضواءها وأطلقت جميع صافيرتها ونحن نقترب منها ونجاوزها بجنون، خفت أن أسبب المشاكل لإياد فتشيت إلى جانب الطريق ونست على الفاعل فتوقفت السيارة بعنف مرة أخرى، وتماكنت نفسي هذه المرة كي لا يرتطم رأس إياد، وتوقفت خلفي سيارة الشرطة وتنادى سائقها الاستطام بنا بصعوبة.. غادرت جسم إياد بسرعة وراقبت رجل الشرطة الذي أجرى حواراً في جهاز اتصاله قبل أن يأتي إلينا، سقط جسم إياد على التريكون فورما غادرت، تجسدت لأهزه بقوة وأيقظه قبل أن يحصل رجل الشرطة.. استيقظ بتثاقل وهو يتحسس الجرح في رأسه ويتألف حوله ليستوعب ما حصل..

"أنا لسه حي؟ السيارة جرالها شي؟ إنت هنا يا حوجن؟"

نظر في المرأة ليرى رجل الشرطة الذي تقدم بغضب نحو السيارة فغلق الموسيقى الصاخبة بسرعة وهو يقول..

"بخرب بيتك يا حوجن.. اش هبيت؟"

أطل رجل الشرطة من النافذة وألقى نظرة على الأدوية التي تناثرت في كل مكان وعلب مشروب الطاقة، وعلى وجه إياد بعينه الناعستين المحمرتين وخط الدماء المنساب من جبهته على خده، حاول إياد امتصاص غضب الشرطي كعن تعود على ذلك..

"السلام عليكم.. كيفك يا نقيب.. اا فهد.."

"خير انشاء الله؟ اش فيك؟ راكبك عفريت؟"

"اا.. جن وعفاريت؟ لا طبعاً عمتي في العناية المركزة في المدينة كلمووني عشان بيعملوا لها عملية قلب مفتوح ولازم أتبرع لها بالدم أديني خمسين مخالفة لو حبيت بس خلييني ألحق عمتي"

كانت نمرته مقسعة ولكنها لم تقنع الشرطي بشكل كامل، ماكنى بنخذ رقم لوحة إياد، فانطلق إياد وهو يشرب مشروب الطاقة بنهم:

" شفت كيف خبطتي نجحت! كنت متأكد إنسها  
حتنجح!"

"كنت حتودينا في داهية!"

"كنت حروح الداهية لوحديا ويعددين من اللي وصلنا  
المدينة في ساعة يا حوجن شو ماخرة"

انطلق صوت جوال إيد المتصل بسماعات السيارة، ضغط  
على زر الرد في دريكسون السيارة فظهر Dr. E Z على  
الشاشة وانطلق صوت جماري التي كانت تتحدث بكل توتر  
ولكن بلغتنا التي لم يفهمها إيد، كانت تصرخ وتقول:

"تعال يا حوجن.. تعال بسرعة!"

(16)

موسى تاكاو.. وشياطينه!

الدكتور عبدالرحيم سعيد.. رجل ذو عقل وعلم ودين وأخلاق،  
جميع المقومات التي تبقى في منأى عن النبل والاحراف  
المعدي، ولكن عيبه الوحيد هو أنه.. إنساناً أتعس أن لا  
نغضبكم صراحتي، ولكن هذه هي الحقيقة، الإنسان يعاني  
من نقطة ضعف خطيرة، التعلق بالذوات، منذ أن هبط أبوكم  
سبينا آدم إلى الأرض وحتى اليوم وأنتم في المعركة الأزلية  
مع الشيطان.. ومع أنفسكم الضعيفة، التي استطاع الشيطان  
فهمها بشكل كامل، والتلاعب بأوتارها، القرآن الكريم يعلمنا  
جوهر التعلق بالله والتوكل عليه ويحذرننا من الشرك وأنتم  
تعتبرون تلك التحذيرات مجرد سرد تاريخي لقصاص الأمم  
البائدة أنتم منزهون عنه، ولكن الواقع المؤسف يثبت عكس  
ذلك، من الحق أن نعتقد أن الشرك هو فقط في السجود  
لحجرة أو بقرة، الشرك بذرة في القلب تجعله يتعلق ويؤمن بغير  
الله.. ولذلك علمنا المصطفى أن نتعوذ منه، لأنه لا يأتي بلائفة،  
بل يأتي متخفياً مستتراً يستار ديني، فالشرك على قناعة أنه  
يتقرب إلى الله من خلال ذلك المتكيس بالدين، فيشره ويقده  
ويتبعه اتباعاً أعمى، ويعتقد أنه شخص خارق موكل بمصائر  
الناس، أو بأرزاقهم، أو بشقائهم، أو حتى بضمايرهم ودينهم،  
والدكتور عبدالرحيم وقع في ذلك المزلق الخطير، حاجته المادية

بمظروف كبير، أمامه يجلس موسى تاكاو الإفريقي الضخم على ركبتيه مشغولاً عن ساعديه وممسكاً بالتيس وموجهاً رأسه عكس اتجاه القبلة ويتنم ويجواره الدكتور عبد الرحيم ممسكاً المسكين بيده ويجوارهم يقف الحارث الشاهد والدكتور يردد ما يقوله المشعوذ:

"باسمك يا منان.. منان منان.. نان نان.. بحق الملك حاران.. بصرف سكان المكان.. يامنان منان."

كانت يده ترتجف، وعيناه مغمضتان، وقبل أن يمرر المسكين على رقبة التيس.. انفتح باب الفيلا أمامه، فأطلقت.. سوسن! وقفت أمام والدها مباشرة.. ترتدي عباءة، حاسرة عن رأسها.. شهِق الدكتور عبد الرحيم شهقة رعب وهي تقول:

"حرام يا بابا!"

أصيبت بالشلل من الموقف، لا أعرف ماذا أفعل! لو تدخلت لإيقاف الدكتور بالقوة فسيشهد المارد الشاهد أن الدكتور نوى الأضحية وأنا الذي تدخلت لأوقفه، صرخ أبو عطية لينتهي لحظة الشلل:

"سوسن منومة في المستشفى! هذي شيطانة المكان!"

جعلته يطمع في وعود موسى تاكاو المشعوذ المتشيع، وتفاقمت حالته فوجد نفسه مخيراً بين التضحية بحياة ابنته وبين تنفيذ مطالب المشعوذ!

انتشلتني صرخة جباري.. لو انطلقت لبيت سوسن بأقصى سرعة لن أصل قبل عشر دقائق، قد يكسب الشيطان جولته في هذه الدقائق.. ويذبح الدكتور عبد الرحيم التيس، وعندها لن يبقى لي أي شيء أقدمه لسوسن سوى الدعاء فقط.. لأن بنتها سيتحول إلى مسنومة شياطين.. يجب أن أنطلق بأقصى سرعة! ويجب أن يلحقني إِياد، فربما أضطر لمواجهة المشعوذ بشكل مباشر، ولكن إِياد لن يستطيع قطع المسافة في أقل من ساعة بسيارته، عندما انطلقت صرخة جباري تجسدت للحظة لأفتح الباب وانطلقت وأنا أقول لإِياد:

"الحقني على بيت سوسن.. بسرعة!"

"ما أعرف مكان بيتها!"

لم أجد، واثق من أنه سيتصرف، يمكنه الاتصال بصديقاتها. تجاهلت سؤاله وفي دقائق قليلة كنت أتناول سور البيت لأرى منظرًا فظيماً! على عتبة باب الفيلا أبو عطية واقف وممسكاً



"حوجن الجرح بسيط.. روح الحقيهم لا يذبحوا

التيه"

"إنت أهم"

"من جد يا حوجن"

قالتها وكان كلتي داوت جرحها أكثر من الأدوية والضمادات  
التي اتهمكت في لفها بمهارة حول جرحها بحكم خبرتي،  
كانت تراقبتي باهتمام حب، هل بعقل أن تفعل فيها كلمة  
عابرة كل هذا؟ كانت أن تُذبح قبل لحظة بسببي.. والأل نصبه  
علي الحب من عينيها فقط لأثني أشعرتها بأهميتها

لا أعلم ما الذي دار بين الدكتور والمشعوذ في تلك الأثناء،  
سمعت صوت محرك سيارة أبو عطية فقبلت جماري بين  
عينيها:

"سامحيني يا جماري لازم الحقيهم، هذي الفرصة

الوحيدة إنني أمسك المشعوذ.."

"لا تقول سامحيني.. أنا ملكك يا حوجن"

في نفس اللحظة استل المشعوذ السكين من يد الدكتور وهجم  
على سوسن، أو بالأصح على جماري التي تشكلت بشكل  
سوسن لتوقف الدكتور.. الآن أستطيع أن أتدخل.. الآن يجب  
أن أتدخل! لا أدري إن كنتم تعرفون هذه المعلومة أم لا..  
الروح تغادر الجسد عند الوفاة في أي بعد، حتى أثناء النوم،  
لو حلم أحدكم أنه قُتل واقتنعت روحه بذلك فإنها لا تعود إلى  
جسده. وهذا ينطبق علينا نحن أيضاً، بل بالعكس عندما  
نتجسد في عالمكم نكون أضعف وأكثر عرضة للإصابة..  
والوفاة لذا أحتاج إيراد في هذه اللحظة بالذات لاستخدم  
جسمه دون أن أتجسد وأفقد قوتي.. اندفعت نحو المشعوذ  
الذي وجه السكين نحو نحر جماري، ولكنها لحظة واحدة  
فقط.. كيف سأتجسد وأنقذها في لحظة؟ كيف ستعود هي  
لعالمنا في لحظة؟ لم تؤثر اندفاعي فيه، وصرخت جماري  
والسكين تمزق جلد رقبتها! وفجأة سقط الصلّاق، دفعه  
الدكتور عبدالرحيم بعنف وأسقطه، لم يحتمل فكرة أن يرى  
ابنته تنفخ أمامه وإن كان مقتنعاً أنها شيطانة متكررة  
واختفت جماري وسقطت العباءة على الأرض، وسقطت السكين  
أيضاً، وعليها آثار دماء.. دماء جماري! جن جنوني! تركتهم  
وجعلت جماري بين يدي..

فانعطفت خلفه لاكتشف أن الطريق مسدود، فأوقف أبو عطية سيارته وخرج المشعوذ متجهاً للعبنى في آخر الشارع، حاول أبو عطية أن يسير بسيارته للخلف وينفذ من المسافة الضيقة التي تفصل سيارة إيباد عن الحائط، لم أعرف كيف أعود بالسيارة للخلف فتقدمت نحوه مضيقاً الطريق فاصطكت سيارته بسيارة إيباد من جهة وبالحائط من جهة أخرى.. واستطاع أن ينفذ ويغفر، لم أضيع وقتي معه، فالمشعوذ عندي أهم! خرجت من السيارة واتجهت بسرعة للعبنى، وقبل أن أصل إليه نزل عملاقان ليستقبلني أحدهما بلكمة في بطني شعرت بأنها في عمودي الفقري! ساعتمد على بنية إيباد الرياضية وهي ما تمنحني به من سرعة بصرية لقتالهم، اتخذت وضعية دفاعية، حاول العملاق الآخر أن ينقض علي بلكمة أخرى فهاشحت بوجهي جانباً ليفقد توازنه بسبب اندفاعه وأجد رأسه هدفاً سهلاً أمام فيضتي، أقصد قبضة إيباد، استجمعت قوتي وانطلقت بها نحو فكه مباشرة، فسمعت صوت تهشم فكه المزعج ورأيت مجسوعة من أسنانه تتساقط من بين شفتيه المشقوقتين.. يساعدها مع دماثة، نظرت إلى قبضة إيباد لقد تعرق جلده وتزفت دماؤه وشعرت بألم رهيب في يدي من عنف القرية، لا بد من توخي الحذر كي لا أسمر جسدي إيباد، وكفي

خرجت فرأيت الغبار الذي أثارته سيارة أبو عطية، ارتفعت في السماء لأحد وجهته، ولبحث عن إيباد، سيزت سيارة إيباد تقترب عن بعد فانطلقت إليه بسرعة، تجسدت، حاولت فتح الباب فلم يفتح، ضربت الزجاج بيدي بقوة ففهم إيباد وفتح غفل الباب ففتحت والسيارة منطلقة بسرعة والسيارات تطلق أبواقها ظناً أن الباب فتح بسبب عطلا

"إيباد.. جاهز؟"

"يعني في خلال أربعة وعشرين ساعة ما نمث ولا أكلت واتكلمني جني مرتين وبلغت أربعة ترامبول وإثنين تيفراتول وثلاثة ريدبول! اعتقد إنني جاهز جداً توكلنا على الله!"

أغمض عيني دون أن يتحرك المفرد كمن تعود على ذلك، فتلبسته في لحظة.. انطلقت بسرعة للحاق بسيارة أبو عطية، لم أعترف بسرعة قانونية ولا بإشادة مرور ولا باتجاه سير، هدأت عن سرعتي عندما رأيت سيارة أبو عطية في الأفق كي أتبعه دون أن أثير شكوكه، ولكن شكوكه اشتعلت عندما لاحظ أنني أتبعه لمسافة طويلة، بالذات عندما بدأنا ندخل لأزقة وبهاليز في وسط حي مشبوه.. انعطفت أبو عطية في أحد تلك الأزقة فجأة

قصرخت صرخة خرجت من أعماق روحي وغابت عن الوعي للحظات.. لم أدرك نفسي إلا وحولي جثث المردة والنييران مشتعلة وإياد يسعل بشدة، وموسى تاكاو يشق طريقه عبر النييران بعد أن جمع أهم ممتلكاته.. فصرخت بإياد:

"إياد.. ركز.. لازم نلبسك وللا حتتخفق هنا!"

إياد الذي لم يعد قادراً على الكلام أومأ برأسه لئلبسته وفي لحظة قلغز الجسد الذي لم يكن يلقى على الحراك، شعرت بالآلام في كل جزء من جسدي بسبب إصابات إياد، وكذت أن أختنق وأنا أقفز عبر النييران والدخان لأمسك بموسى تاكاو من ثلاثيه وتسقط أنا وهو على البرج، كان يتمم وأنا الكفة دون أن يدري أن مودته تحولوا إلى أشلاء.. اختلعت مجموعة من أسنانه دون أن أراها تسقط، اعتقد أنه ابتلعها.. غاب عن الوعي بين لكماتي، سحبته من ثلاثيه بيد واحد رغم حجمه العملاق، وحشرت مع أغراضه بصغوية شديدة جوارى في سيارة إياد، وتوجهت لأقرب جامع.. ربطته بشدة على عمود النور الذي بجوار الجامع ونثرت فوق رأسه الطلاس والأحجية التي تدينه، وأخذت المظروف الذي سلمه إياد أبو عطية، نظرت

لا أتسبب بمقتل أحد فيتوبوط في قضية جنائية. الكلمة بثت الرعب في العملاق الآخر فتقهقر بحذر، تناول من الأرض قضيباً معدنياً وبدأ يلوح به وهجم على بشراسة، لا أعرف ما هي حدود قدرات أجسادكم.. ولكنني أعرف أنني استطعت أن أقفز بارتفاع عشرين لاتفادي الضربة وأهبط لالتف وأركل العملاق على وجهه وكلة لم تجعله أحسن حظاً من رفيقه الذي تشوهاً انطلقت إلى المبنى الذي يتكون من طابقين أحطم أبواب الغرف أمامي بقدومي وأبحث عن موسى تاكاو، رأيته أمامي جالس بنمتم، وحوله مجموعة من المردة المسخرين له، هجم على المردة، فتركت جسم إياد الذي سقط كالحجر.. وعنت لعالمي لأتعامل مع المردة الذي صرخ أحدهم:

"تعديت حدودك يا كلب الإنسان!"

انقضوا علي، لا أذكر عددهم، كانوا خمسة أو ستة مردة.. لبتني زعيمهم من رقبتي وتكالب الباقون علي، أما المشعوذ فانقض على إياد ليخنقه وإياد شبه غافد للوعي يحاول التقاط أنفاسه باستنماته، في هذه اللحظة بالذات تذكرت سؤال الملك هياف عن سر الصرخة في هذه اللحظة بالذات تذكرت روح أبي وجدي ودموع أمي وعذاب سوسن ودماء جعاري..

"تعالى معايا أنا برا.. عا أقتر أدخل وأنا متلبس  
إياد.."

انطلقنا أنا وجمارى بسيارة إياد نحو بيته، دخلت البيت بثقة  
معتلاً دورهم، فتحت الخادمة لي الباب وصعدت عندما رأت  
جسم إياد الملقى بالدماء:

"Mister Eyad...! what happened? I will call the  
doctor!"

"أنا كويس.. بس جهزي لي العشا.."

استغرقت من كلامي معها بالعربي، دخلت غرفة إياد ألقيت  
بجسده على سريره، وتركته لأجلس جوار جمارى، فسعل  
وتأوه بشدة..

"الله يا راسي.. يا أيدي.. يا رجولي.. اش سويت  
قيا يا حوجن.."

دخلت الخادمة حاملة صينية الأكل ووضعتها على طاولة المكتب  
فناداه:

"Just bring it over here.. I can't even move!"

إلى الناصر الذين تجمعهم حولي يراقبون المشهد باستغراب  
فقلت:

"ساحر مشعوذ ربنا أعانني عليه.. يا ليت أهل الخير  
يسلموه للشرطة!"

كانت عبارتي بمثابة إشارة بدء لهم بضربه وركله!

انطلقت في سيارة إياد عائداً لبيت سورمن، لا أستطيع أن  
أغادر جسد إياد وهو بهذه الحالة الحرجة، وفي نفس الوقت  
يجب أن أطمئن على جمارى، تناولت هاتف إياد واتصلت على  
Dr. || Z . استغرقت جمارى بعض الوقت لاكتشاف الزر الذي  
يرد، ردت علي بلهفة ولكن بالعربي تحسباً لأن أكون إياد أو  
شخص آخر!

"جمارى!"

استغرقت الصوت المتغير ولكنها استوعبت أنه أنا في جسد  
إياد..

"حبيبي.. قلقت عليك!"

رد علي يرد اشعل نحيوتي وأسعد جماري:

خرجت الخافعة فصرخ إباد..

"طبعاً أسوي كل هذا وأكثر عشان عيون سوسن..

"حاه! اووججا ان إنت هنا! انطوا"

زوجة المستقبل"

"إيوه طبعاً هنا.. ومعايه جماري.."

"أهلين جماري.. شايغه زوجك إيش عمل قيا"

ابتسمت جماري وتحسست جرحها وهي تجيبه:

"كلنا في الهوا سوا.. أنا كمان اتبهذلت اليوم.."

"كله يهون.. نجى في جسي ولا في السيارة"

"مهمم.. يعني السيارة كمان تعرضت لشوية

إصابات"

"من جد؟ لا لا لا لا! إلا اللامبرغيتسي!"

"إباد.. من جد شكراً على شباتك.. مستحيل أحد

يسوي كل هذا عشان شخص ما تربطه بيه أي

علاقة"

(17)

سوسن، تقبلين الزواج بإيادى

العقرب لا يلدغك إلا إذا اقتربت منه. وشعر بالخطر، وهذا لا ينطبق تماماً على العقرب البشري، الذي يقترب منك ويلدغك إذا شعر بالأمان.. فقط ليحقق مصالحه ولو على حساب مصالحك.. وحياتك! وأبو عطية أحد العقارب البشرية المنتشرة حولكم، يظف سمه في معسول كلاله قبل أن يفرغه في لدغته ويقر باحثاً عن ضحية أخرى..

خلد إيداء لنوم عميق، فكرنا أنا وجماري في الوسيلة الأنسب لإعادة أموال الدكتور عبدالرحيم له، فتحت الظروف فوجدت فيه سبعمائة وخمسون ألف ريال، نصف المبلغ الذي كان يفترض أن يسلمه الدكتور عبدالرحيم، فحصدت جماري الظرف وبحكم خبرتها أدركت أن هناك أثر ثلاثة أشخاص عليه، أو بتفسير علمي أكثر: ثلاث بصمات جينية مختلفة خلفها عرقهم، الدكتور عبدالرحيم، والمشعوز، والحقير أبو عطية، أما بالنسبة للنقود داخل الظرف فكانت تحمل أثرين فقط! أثر الدكتور وأبو عطية، مما يعني أنه كان يخدع الدكتور طوال الوقت وأخذ نصف الأموال لنفسه، في كل الأحوال لا أعرف كيف سأتعيد النقود للدكتور بشكل مقنع، يمكنني ببساطة أن أضع النقود فوق سريره، ولكن ذلك سيؤكد ما يدعيه أبو عطية من أن البيت مسكون وقد يقع في براثن رجال آخر! هل أرسلها مع إيداء؟

خرج الجميع من غرفتها، سحبت جماري من كتفها وخرجنا من النافذة وأنا أراقب سوسن تقترب من النافذة بخطوات مترنحة وتغلقها بعنف بدل أن تغني لأزهارها التي ذبلت حزناً عليها!..

"حوجن.. لازم نلاقي حل لمرض سوسن!"

بادرتي جماري ولكن حزني عقد لساني فلم أجيبها..

"حوجن اش راك تفاوض الملك هياف يجيب مرده المغرب يمكن يفيدوها.."

"ربنا أرحم بها مننا وهو القادر على شفاؤها.. هو الملك هيافا!"

اتصل بي إيداء، أعقد أنه بدأ بتعائيل للشفاء من إصاباته، ذهبنا أنا وجماري التي رفضت أن تتركني لحظة بعد كل ما حصل.

ترك إيداء باب البيت مفتوحاً كالعادة فوجدته يتحدث عبر الهاتف باهتمام:

لا لا، لا أريد أن يعرف الدكتور أن إيداء تربطه بموضوع الجن أي علاقة!

تركنا إيداء، وعدنا لبيتنا أنا وجماري، لغت نظري ضوء غرفة الجلوس المضاء، خشيت أن يكون أبو عطية عاد للدكتور..

التريت فسمعت صوت الدكتور، كان يصلي ويستغفر الله ويدعو لهنه بكل حوقة، فعلاً لقد أنقذه الله من مصيبة الشرك، الحمد لله أن جماري كانت موجودة وتمكنت من إيقاظهم!..

لم أكن أتكلم كثيراً عن سوسن، احتراماً لشاعر جماري.. ولكنني اليوم فشلت في حبس دموعي عليها عندما رأيتها تدخل بيتها لأول مرة بعد غيابها، حتى جماري فشلت في حبس الدموع! كانت تمشي بصعوبة، تنهادر بين أمها وأبيها، بالكاد تستند نفسها، دخلت غرفتها التي نظفوها استعداداً لاستقبالها، وأول شيء وقع نظرها عليه هو الألباد.. أشاحت بوجهها وهي تشير إلى الألباد وتقول لهنان:

"شيل الألباد معاك بالله.. وسيبوني شويه، تعبانة أبغي أرتاح.."



"ياسلام الموضوع يهذي البساطة؟ كيف حنسوي هذا  
كل؟"

"بسيطة جداً.. تنكيسا"

كانت خطة إياد بحرية فعلاً، العنوان لم يحدد بيت أبو عطية  
بالضبط، ولكننا وصلنا للشارع والمسجد المجاور لبيته في تلك  
الليلة، أطفأ إياد سيارته وهو يقول:

"المخروفي بيته هنا! يلا يا حوجن شوف شغلك.."

بحثت عن سيارته، لم تكن بين السيارات الواقفة على جانبي  
الطريق، بحثت داخل مواقف المعابر، إلى أن وجدت، وجدت  
سيارة أبو عطية وميزتها بسهولة من آثار احتكاكها بسيارة  
إياد وعرفت أيضاً رقم شقته من موقفه، عدت إلى سيارة إياد:

"هذيك العمارة.. اللي قدامها نخافن.."

اقترب قليلاً من العمارة، نزلنا أنا وجماري.. لحسن الحظ  
كانت نافذة المطبخ مفتوحة فدخلنا منها، رأيت في صالة بيته  
يجلس على الكتبة يشاهد أحد البرامج الهابطة ويدخن

"خلاص العنوان واضح، ألف ألف شكر، ياسيدي لو  
ما طلع كلاسي صحيح أسجنني.. أنا مستعد!.. تسلم  
تسلم حبيبي.."

أنهى المكالمة وتناول الورقة التي دون عليها ذلك العنوان..

"إياد مين دا؟"

لم تفرغه عبارتي، فهو يتوقع حضوري..

"تعال أفهمك إيش بح أسوي في الوقت أبو عطية؟"

إياد من القلة الذين لا يعترفون بالمستحيل. لقد نيش جميع  
معارفه إلى أن وصل لضابط في المباحث، وبلغه عن أبو عطية  
وطلب مساعدة الضابط بتدبير عنوان أبو عطية من خلال رقم  
هاتفه بعد أن وعده بتسليم الدليل الذي بيده..

"شوف يا حوجن، لازم نتأكد إنه الدكتور عبدالرحيم  
بعيد عن الصورة تماماً، كل اللي نحتاجه هو زيارة  
لطيفة لأبو عطية، نأخذ بقية الفلوس ونأخذ دليل بيته  
ونؤديه في ستين داهية!"

"إش الأصوات هذي؟ كنت بتزعق على أحد في التليفون؟"

أجبتها محاولاً تقليد طريقة أبو عطية في الكلام، واستعريت في البحث:

"ارجمي نامي مافيش حاجة.."

"بتدور على إيش؟"

لا أعلم إن كان أخبرها بأمر النقود، إنها غرمتني الوحيدة، ومرة أخرى طز في:

"فيه فلوس جبتها الأسبوع اللي فات نسيت فين حطيتها!"

"من جد إنت من يوم ما رجعت بالفلوس دي وعقلك مو في واسكأ بحين إنت موقايل، لي إنك دفعتها لصاحب الأرض عثمان الإفراخ؟"

"خلاص خلاص انخلي نامي بحين.. فيه ضيف روح بجيني!"

الشيخة، تجسدت جماري وتشكلت بالشكل المطلوب ووقفت خلفه تماماً. وهمسست في أذنه بهدوء:

"تبقي تدبحني يا أبو عطية؟ مو حرام عليك؟"

التفت برعب ليري الوجه الذي خلق قلبه من مكانه.. وجه سوسن! كانت جماري تنظر إلى عيني أبو عطية مباشرة وهي متشكلة بشكل سوسن فجن جنون أبو عطية وبدأ بصرخ بشكل هستيري، وضعت يدها على فمه بقوة كي تكتم صرخاته، يجب أن اتحرك الآن، هذه اللحظة المناسبة لتبسه! ارتعدت طاقته النفسية بسبب رعبه يجب أن أحل محلها قبل أن يفقد الوعي من شدة الهلع! حاولت السيطرة على جسده، فبدأ ينتفض بشدة، لا بد أن أسيطر عليه بأي ثمن! ركزت جميع قواي فهدأت ارتعاشته وارتخى تصالبه، رففت مستنداً على حافة الكتبة، عدلت الشيخة التي سقطت مع ارتعاشته وللمت الجمر المتناثر بيديه غير أنه بالآثم، طز فيه! تركت جماري تجسدها وعادت لعالمنا وبدأنا أنا وهي تبحث عن نفوذ الدكتور عبدالرحيم، ولكن عاليت أن فتح باب غرفة النوم وأطلت زوجة أبو عطية تفرك عينيها بكسل وتسال باستنكار:

قطع إياد التصوير متعمداً وكأن الذي كان يصور خلصة ارتبك. عدت إلى الكتبة التي كان يجلس عليها أبو عطية واستوطنت لأغامر جسده، كان في غيبوبة، انطلقنا إلى الباب بسرعة ولكن إياد المجنون عاد ليصفع أبو عطية بقوة على وجهه ويركله في بطنه وخرج معي مسرعاً!

"ما قدرت أقاوم.. نفسي أقتله هذا النتر!"

انطلقنا بسرعة. ونفذ إياد وعده لطباط المباحث، فزوده بدليل دافع لإدانة أبو عطية، ورفع ملف الفيديو الذي يعتبر اعتراف مصور على موقع اليوتيوب من حساب مؤقت، ووضع عنواناً جذاباً: فضيحة أبو عطية وهو يتفاوض مع المشعوذ.. واختار بعض الكلمات التي تثير فضول خلفها في محركات البحث (اعتذر عن ذكرها).. ليقطع في وجهه كل أمل للفرار الذي لم أفهمه هو كيف سلم المظروف للضابط وفيه كامل المبلغ! مليون ريال ونصف! ومثل من الضابط أن يسلمه للدكتور عبدالرحيم بحجة أنه ضابط عند المشعوذ الذي اعترف، واحترم الضابط رغبته في عدم إقحام الدكتور في أي تحقيقات. كم أنت عظيم يا إياد، تستحق سويسر عملاً

لحسن الحظ لم تشك في شئ والدليل غلقها لباب غرفة النوم بعنف. فتحت الباب لجماري فخرجت لتفادي إياد الذي جاء على الفور، طرق الباب ففتحت، فتفاجأ لوعلة عندما رأيته على هيئة أبو عطية فهمست له:

"هذا أنا.. حوجنا تعال بسرعة!"

"لقيت الفلوس!"

"مر وقت الفلوس حين يلا إياد تصوير.."

وضع هاتفه بزاوية تركز على المقعد الذي جلست أنا عليه لنصور المشهد الذي يُدين أبو عطية، وضعه بطريقة توحى إلى أن أبو عطية لا يدري عن التصوير، وبدأت أتحدث إلى الشخص الوهمي أمامي متحلاً بشخصية أبو عطية:

"أبو عطية كلمته ما تنزل الأرض (بدأ) النوى بالنصر! كل واحد فينا يأخذ سبعماية وخمسين ألف. ولو جاب باقي الفلوس نقاسمها! بكرة نجيب التيس وتجهز إنت الحجاب، نخليه يبيع التيس ويمدق الحجاب في الحوش ونوش دمه عند المدخل و..."

"يعني إذا تقدرني تتشكلي فأكيد سهل عليك تقدرني الأصوات.."

أياد يجع بين خصلتين خطيوتين.. الدهاء والتهور! يريد جيماري أن تتصل لتخطب له سوسنا كم سعت جيماري بهذه اللحظة كي يتزاح عنها هم جيماري لسوسنا أو على الأقل تقم فارساً حقيقياً في حياتها يستحقها أكثر مني، فارس برغمي علم التنحي جانباً ليفوز بها.. ويرغمها على نسياني..! انههر إيد عندما سمع صوت جيماري وهي تقلد صوت والدته..

"وااا!! أو كائنك أمي بالضبط!! نفسي أسوي شوية مقالبي في بابا، بس بعدين مو وقتي.. خلينا نتصل بسوسر دحين!"

"بس عاني عارفة إيش أقول!"

"مسيطة! شبك الهميدون ونخلي سماعة في أذني وسماعة في أذنك وأنا همس لك في إيش تقولي بالضبط.."

غاب إيد وعاد بهاتف قديم..

ارتاحت نفسياتنا عندما انتهى كابوس المشعوز وأبويعية للأبد وعادت نقود الدكتور ليخرج من أزمة المانية ويتوب عن الاستعانة بالسحرة والدجالين المتمشيين. موت بضعة أيام طلبنا بعدها إيد لمساعدته في موضوع شخصي، فذهبنا له على الفور.. بادرنا بلهفة:

"جوجن؟ جيماري إنتو هنا؟"

"خير، قلقنا عليك!"

"أنا قدماكم زي الحصان.. بس أحتاج جيماري في شقطة مصيرية؟"

"إيش أقدر أسوي لك يا إيد؟"

"أهناك تخطبي لي سوسنا!"

"هاه؟"

"تعالني أول أفرجك على مقاطع فيديو لأمي.."

"إيش؟"

"هذا جوال أمي حق الزوجيات، فيه شريحة.. نتصل منها ونفصله بعدها!"

اتصل إياد برقم جوال سوسن، خفقت قلوبنا، لا أعلم أيها كان أعنف.. قلبي أم قلب إياد أم قلب جماري.. لم ترد سوسن، كررنا المحاولة، وقبل يأسنا بلحظة ودت سوسن مستغربة من الرقم:

"ألو مين؟"

فردت جماري إياد يهمس لها..

"ألو.. السلام عليكم.. أنا منال العقيل والدة إياد الزايد.. معاه سوسن؟"

"أهلين يا خالة.. كيف حالك؟"

"أهلين يا بنتي.. وألف ألف سلامة عليك.. معليش أنا كنت أبغى أكلم الموالدة وما قدرت أحصل رقمها، ممكن أكلمها؟"

"أكيد يا خالة.."

ذهبت لتنادي والبتها غازينا خفقاناً..

"ألو؟"

"ألو كيف حالك يا أم سوسن؟"

"الحمد لله يا أهلاً وسهلاً.."

"سلامة سوسن وما تشوف شر إن شاء الله.."

"الله يسلطك ويحفظك أولادك.."

"ما بأطول عليك، بس الحقيقة سمعنا عنكم كل خير، وحابين نتقدم لكم نخطب سوسن لولدي إياد، هو زميلها في الجامعة والحقيقة يمدح فيها كثير.."

ارتبكت والدة سوسن، هذه لحظة حساسة في حياة أي أم.. هذا الاتصال بالذات والمصير بين كون ابنتها طفلة بين أحضانها وسيدة مستقلة بحياتها..

"والله ما أدري إيش أقول لك.. إحنا نتشرف وأنت بيس إنك عارلغ ظروف سوسن و.."

قاطعتها جماري.. أو بالأحرى إياد:

انتبهت المكالمه، فانشطقت أنفاسنا الحبيسة، تناثرت الأيام بسرعة  
ووجدنا أنفسنا أمام الأربعة فجأة، ذهبنا لإياد قبل الموعد  
بساعة، وجدناة نلبساً شياً وغترة بيضاء وعقال ويجالس يهن  
ركبته بتوتر، لأول مرة أراد بالهندام الرسمي الذي زاده هيبه  
ووسامة..

"إياد.."

"أخيراً شرفتوا! تأخرتوا!!!"

"بنت خالك وصلت"

"مستنيها بتجسد!"

"اش قصرك"

"جماري حنكون بنت خالي! ما عندي أخوال أصلاً"

كل يوم يناقش هذا الولد نفسه بجنونه!!

"يللا يا جماري، زبطي لنا شكل بنت خالي على  
توقك، عنذك غرفة ملايس أمي فوق ألبسي أي حاجه  
مناسبة.."

"إن شاء الله سوسن ما فدامها إلا العاقبة وإحنا بس  
حابين نتعرف عليكم أكثر ونتطمئن على سوسن.."

"طيب لازم أستشير أبوها واستشيرها هي كمان،  
بس على العموم الله يحبيكم تزورونا غي أي وقت  
عشان نتعرف ونتشرف بيكم.."

لم يحسب إياد حساب هذه المفاجأة، ولكنه تصرف بسرعة  
وهمس لجماري بالإجابة الأنسب:

"أكيد نفسنا نزوركم والله.. بس أنا الآن بكلمك من  
فرنسا، أنا وأبو إياد خنرجع بعد شهرين، معليه أخلي  
إياد يزورك مع بنت خاله وأنا وأبو إياد أكيد  
بنزوركم نقطمن على سوسن قول ما نرجع.."

"الله يحبيكم كلكم.."

"يقدروا يجوكم يوم الربوع بعد المغرب؟"

"يشرفونا على العين والراس.."

"بس يا جمارى أم أمي فرنسية عيونها عسلي فاتح..  
حتى أفتح من عيني.."

لم يكمل إباد عبارته حتى تحول لون عيني جمارى بالشدريج  
من الينسي الداكن إلى العسلي الفاتح، فازدادت جمالاً، كانت  
تضع القليل من مساحيق التجميل، لم تكن بحاجة إليها في  
كل الأحوال.. وضفتها باحتراف هذه المرة، ولبست ثوباً غاية  
في الروعة واوتدت عليه إحدى عبايات أم إباد الأنيقة، وانجهنا  
بسرعة إلى الخارج، ففتح إباد باب القوارج، عرفت من أين نبر  
إباد باقي نقود الدكتور عبد الرحيم، ظهرت سيارة منعشة  
أشبه باللعبة، انحسرت داخلها، إباد وجمارى في الأمام.. وأنا  
في الخلف..

"بعتي بعث اللامبرغيني عشان تسدد باقي فطوس  
الدكتور عبد الرحيم"

"لولا غشامتك في السوافة كان قدرت أبيعها بعبلج  
محترم وأشتوي بالفرق بي إم محترمة بدل الدبانه  
دي! أنا أصلاً كنت مطلع اللامبرغيني عشان هذي  
اللعبة"

صعبت جمارى وعادت بعد دقائق، تخشبنا أنا وإباد ونحن  
نتأمل ذلك المخلوق الذي هبط على الدرج، جنبة تشبه الملائكة  
تجسدت في عالم البشر.. لا تكاد قبعهاا تلتسان الأرض،  
فاتنة.. حتى شاشات السيما لم يحالفها الحظ لعرض مخلوقة  
بجمالها، النسخة البشرية من جمال جمارى، بالقوة زهرية،  
عيون تغرق الناظرين في أعماقها، شعر نازع عليه الذهب  
والدياج فتعوج بينهما، سقط فك إباد وهو يقول بتلقانية بلها:

"جمارى.. إنت ما عندك اخوات؟"

تجسدت للحظة لا شعورياً ولكمت في صدره ليتأدب فصرخ  
صرخة مكتومة:

"إش فبك يا حوجن؟ نسيت إنه جمارى أكبر من  
جدتي، ولشبل يومين كانت أمي.. وحسين بيثت  
خالتي!"

ابتسمت جمارى وقالت في دلال:

"هذا الشكل اللي كنت أنتشكل به زمان.."

دارت إشارة خاطفة بين سوسن وأميها، فقامت السيدة رجاء وسحبت يد جماري وهي تقول:

"تعال يا جمانه حكيني عن فرنسا.. خلي سوسن وإياد ياخذوا راحتهم شوية.."

جلستا في الجهة الأخرى من الصالون فأصبحنا لوحدهما أنا وسوسن، وإياد..

"ليش يا إياد؟"

"ليش ايش يا سوسن؟"

"ليش بتتقدم لي؟"

"سوسن إنت عارفة إنني من زمان معجب بيلك.."

"الإعجاب شيء والارتباط شيء ثاني، أنا عندي بوبن كانسو يا إياد! الله العالم يمكن أعيش لآخر الشهر ويمكن لا!"

مد إياد يده إليها محاولاً الضغط على عواطفها، مدت يدها إلى شعرها ومررت أناملها عليه فانسدت خصلة من شعرها لم تحتمل عنف أدوية السرطان.. ووضعتها على يد إياد..

وصلنا لبيت سوسن، لم نتنظر طويلاً بعد دق الجرس، فتح لنا هتان الذي أصيب بالصعفة الكهربائية وفتح عندما رأى جماري، أدخلنا على الفور إلى الصالون، نخيل تدخل بيتك الذي تعيش فيه على أساس أنك ضيق! نزلت أم سوسن ترحب بنا بحفاوة، ونزلت بعدها سوسن، جلست في المساحة الخالية على الكنية جوار سوسن.. وظللت أناملها..

أدارت جماري الحديث ببراعة وأذابت ثلوج الإحراج بلطف:

"معليه سامحونا، المفروض نؤورككم ونتكلمن على سوسن من زمان.. أنا جمانه.. بنت خال إياد.. بادرنا الجامعة في فرنسا، ماما فرنسية، وبابا نص فرنسي.. لحسن الحظ إننا جينا جده نؤور أعمام بابا ونأخذ عمره، وعمة كلمتني عشان أجي مع إياد نؤور سوسن ونتعرف عليكم.."

لم أتابع عبارات الترحيب والمجاملة والسؤال عن صحة سوسن التي دارت، كنت مشغولاً بملحن عيني من عينيها،



"إياد أنا صحتي بتروح مني زي شعري.. إنت تستاهل ملاك تعيشك في سعادة.. هو مسخ بين الحياة والميت"

قبض إياد على شعرات سوسن وتساقطت دموعه في انهيان وهو يقول:

"سوسن.. أرجوك أديتي فرصة أكون جنك باقي أيامك.. وصدقيني أنا منكد رينا بيشفك وتصبري ملاكي وتسعديش باقي أيامي!"

(18)

خسرت حبيبتي.. وزوجتي.. وابني!

خلفست سوسن وجهها وانهمرت دموعها بحسرة، ففاجأها إياد.. وفاجأني أنا أيضاً:

"سوسن.. فيه واحد بيسف يكلمك.. ويفهمك أشياء كثير.."

"مين؟"

"تعال يا حوجن!"

قالها.. وسند رأسه مسترخياً على الكنبه لكي تنطمه!

أنتملعون ما هي أكبر جريعة تقترفونها في أنفسكم؟ هي تهيميش أرواحكم.. الحياة بالنسبة لكم ساحة عراك وأنتم مكانن الصراع في وسطها، مكانن مركبة من "أجهزة" و"أعضاء" تديرها مصالح مادية مطلقا بأيديولوجيات سلطوية مخادعة تتشبق بالسمو رغم سفالتها.. ولكن مع ذلك كله هناك من يقتر لروحه قنرها، يرى بشفاغيتها ما يقبع خلف تلك الشكائن البشرية، يرى بعين الحدس أو المشاعر أو البصيرة أو الفراسة أو التنبأ.. أو أي من تلك المصطلحات التي تصنفونها جهلاً تحت بند الخوارق والميتافيزيقا وما وراء العقل.. العقل الذي استطاع أن يحبسكم جميعاً داخل مكاننكم.

سوسن كانت من تلك القلة التي لم تدفن روحها في قبر عقلها، لم أكد أتكبس إياد وأرغفي رأسي عن الكتب وأنظر إلى عينيها مباشرة، وتظار هي إلى عيني لأول مرة حتى رأيتني من خلال جسد إياد وعرفتني.. شفت شهقة خفيفة، واحتطنت كفي بين كفيها وتسريت دمعتها وهي تقول:

"حوجن..! وحشتني يا حوجن! وحشتني!"

"منك خايقة مني؟"

جيب

قلتها والتفت إلى آثار الجروح في ذراع إياد، تحسست  
بثقلها أثر الإصابة على جيب إياد الذي لم تعترف بوجوده،  
وكنني حطت محله..

"حوجن إيه سويت في نفسك كذا؟"

"سوسن.. إياد يستاهلك.. من جد يستاهلك.."

"يسر أنا ما استاهلك إياد حلم لأي بنت.. ويستاهل  
ملك زي بنت خاله.."

قالتوا والتفتت إلى الجهة الأخرى من الصالون ناحية والدتها  
وجماری.. كانتا تجلسان في زاوية بالكاد تستطيع جماری  
رؤيتهما منها.. ولكن جماری لاحظت تلبسي لإياد واحتضانني  
لكف سوسن ونظرات اللهفة بين عيني.. تحاول بصعوبة  
السيطرة على أعصابها وتجسدها في عالمكم..

"هذي مو بنت خال إياد.. هذي جماری.. زوجتي!"

ابتسمت ابتسامة لم أفهم معناها.. أطرقت براسها لتخفي  
دموعها التي ليس من حقني أن أراها، واستعادت جديتها وهي  
تقول:

تجاهلت سؤالي السخيف وقبلت أناملي وهي تقول:

"كنت حاصوت من الخوف عليك يا حوجن! إيه رحت  
وسبتني؟ خفت يكون جرى لك شيء!"

شعرت بحرارة الدنيا تسري في جسدي من شفاها عبر  
أناملي فتفجرت دموعي..

"سامحيني يا سوسن.. غصبت عني.."

"لا تقول سامحيني.. أنا عارفه (تت اعذبت معايا  
كثير.."

"سوسن.. زعناب اذاك بشي؟"

"اسمه زعناب؟"

"زعناب وغيره.. شياطين ومشعوذين حاولوا يوقعوا  
بالدكتور عبد الرحيم.. بس لا تخافي.."

"أكيد خالصتنا منهم يا بطلي.."

"إياد بطلك الحقيقي.. ضحى بحياته أكثر من مرة  
عشانك.."

"سوسن.. أنا لازم أختلفي من حياتك!"

"حوجن!"

"سوسن.. قهقري في حياتك سبب لك مشاكل إنت في غنى عنها.. صديقتي لازم تنسيلي!"

ترجعتني بنظراتها.. ولكنني لن أسمع لنفسي أن اتسبب في أي ضرر لسوسن بعد الآن..

"حوجن أرجوك عشان خاطري.. إنت تقدر تشوفتي أي وقت وتظمن علي.. لكن أنا كيف أتظمن عليك؟!"

"سوسن أرجوك عشان خاطري اتعافي.. وصديقتي حاكك دايماً حوليكي.."

"مع السلامة يا حوجن!"

قالتها بلسانها فمزقت قلبها.. وقلبي رفضت أن تفلت يدي.. فسحبتهما يهدوء ووقفت.. وتركتهما تفرق في دموعها..

"جمانه يلا نمشي .. اتأخرنا!"

"اسمع يا حوجن.. أنا حالتي شبه ميؤوس منها.. مستحيل تتعالج إلا بالجراحة، وحتى لو عشت إلين وقت العملية، أصلاً نسبة نجاحها ضئيلة.. ولو نجحت احتمال كبير أفقد الكثير من ذاكرتي وقدراتي العقلية ويمكن الحركة.."

"سوسن.. مع رينا ما فيش حاجة اسمها شبه ميؤوس ولا نسبة نجاح.. فيه حاجة اسمها إيمان وحسن ظن وكن فيكون.. صديقتي علاجك معروف بيقينك بالله سبحانه ومعنوياتك!"

أطلقت عباراتي روحها من سجن اليأس. وتحولت إلى يقين داخل قلبها، فابتسمت وهي تقول:

"ونعم بالله.. بس في كل الأحوال مستحيل الفكر في الزواج الآن.. ما حاتمزوج إلا لو انعافيت!"

"حتتعاقي بإذن الله.."

"وحنرجع نعمل تشات في الألباء وللا حتتجسد في عالمنا وتعيش معانا!"

"لا بس.. حبيب أقول لك إني لقيت بنت الحلال  
وخطبتها!"

"Eyad! STOP IT!"

"I swear.. I proposed!"

"ومين خطبك انت؟"

"إنت ا!"

"إياد!!!!!!!"

"وجحانة بنت خالي جات زارتهم معابا عشان تتعرف  
عليهم"

"جمانه مين؟ خالك مين؟"

EYAD YOU ARE DRIVING ME

"INUTTS! STOP YOUR SILLY JOKES

أدلو إياد الجهاز جهة جماري التي ألفت التحية لأم إياد  
بأستخدام صوتها..

تركت جسد إياد في السيارة.. لم تنطق بكلمة ونحن عاندون  
معه، كل منا كان يصارع أمواج معومه، وفجأة هب إياد:

"لازم اتصل بماما الآن.. أخاف أهل سوسن يبدأوا  
يسألوا عني ويسوصلوا لجمال بابا أو ماما  
ويتصلوبهم!"

قالها ريثت هاتفه على قاعدته في السيارة وأجرى اتصالاً  
مرتباً وكسى صوته بنبرة سرحة مصطنعة عندما ظهرت صورة  
والدته التي كانت تستمتع بوقتها في شرفة شقتها على شاطئ  
مدينة كان في فرنسا:

"هيببي منال.. كيفن؟ I miss u miss u miss u"

"Darling I miss you like crazy! How come  
you missed me and didn't even call me for 2  
weeks?"

"I've been through a lot Mom.. and.. I have  
little news for you!"

"الله يسترا"

"كيف حالك يا عم؟"

صعقت أم إياد وجن جنوتها فبادرها إياد:

"ماما بلير أنا لقيت البنت اللي اتمناهها وكان لازم  
أقدم لها!"

"إياد! كان لازم تستنايني لما أرجع البنت ما حطير؟"

"صدقيني يا ماما البنت ممكن تطير في أي لحظة!  
ماما أرجوك لو اتصلت عليك السيدة رجاء بخصوص  
بنتها سوسن لا تطلعيني كذاب.. وعلى فكرة لا تنسي  
إنه بنت أخوك اسمها جمانة!"

"إياد.. برضايك عليك لا تسري شئ يزعلني منك!"

"ماما.. برضاك عليا ما حازعنا!"

انتهت مكالمة إياد المونية مع والدته، وعاد كل منا إلى صمنه..  
وهومه!

عدنا لبيتنا بعدت أن خلعت جماري تجسدها وملابس والدته  
إياد، شعرت ببكاء سوسن يذيق نافتنها المغلقة ويحرق قلبي،  
وجماري تشعر بي فيحترق قلبها غيرة علي.. لم تكن تعلم أن  
هناك ضيقاً في انتظارنا:

"أخيراً شرفتوا يا عرسان؟ كنت حاطفش وأمشي بس  
قلت عيب ما يصير.."

قالها زُعام الذي أطل من غرفتنا وأطلت معه عجوز قصيرة  
بديعة كنيبة سبت على جماري فلفت ذراعها حول خصوها  
والصقت خدها على بطنها بقوة وتركيز.. فسألها زُعام:  
"هاه بشري.."

التفتت العجوز إلى زُعام، يبدو أنها لا تكلم، فقط اكتفت  
بإيحاء من رأسها.. فتبادرت زُعام بحضن كاذب وهو يقول:

"مبروووك مبروك يا ولد عمي.. رح تصير أب.. ورح  
أصير أنا خال.. مبروووك يا جماري"

آخر شئ قد نحتله جماري بعد كل ما رآته هو تهكم أخيها،  
تجاهلته وبخلت الغرقة.. تظر زُعام للعجوز وسألها:

"كم باقي على موعد الولادة؟"

فُثُثارت بأصابع يديها.. وياديني زعناب:

"باقي عشرة أسابيع يا حوجن.. إنت عارف العقد اللي بيذك وبين الملك هياف.. الامور هذي مافيها لعب!"

"الملك هياف ما نفذ بنود العقد.. بس صرف جنبي الربط ولكن عقاريته فهدوا حايمن على الدكتور عبدالرحيم، الخ ما قتلتهما"

"أسمع! الملك هياف يقدر يذبحنا واحد واحد.. لكنه خايف من الفحيحين.. لو صارت مشاكل معاهم رح يدخل نفسه في حرب مافو قدها! عثمان كذا كُتِك العقد عثمان محد يقدر يفتح فمه!"

"لو قريب من جماري أو من إبني رح أقتله!"

"لا تصدق نفسك! تراك مو قد الملك هياف! اعقل لا تضيع نفسك واللي حولك.."

أزجته عن طريقي ولحقت بجماري.. فلحقتني عبارته المهددة:

"حوجن! اصحك تسوي شي تندم عليه!"

موت الأيام بسرعة.. نافذة سوسن لم تفتح أبداً، ولم تغادر البيت.. لم أرها على الإطلاق.. الحزن يلتهم البيت وساكنته.. لم أتجراً حتى على الاقتراب من نافذتها لا سمح بكاءها ودعائها.. لا أعلم إن تبقى لديها أي معنويات.. معنويات؟ كل شئ يشير إلى اتجاه واحد: الوفاة.. ولكن الله سبحانه فوق كل شر: وكل اتجاه، رأيتها اليوم، أخيراً.. يستحيل أن تكون هذه هي سوسن! جثة تنفس.. فيكل عليه جلد يقيق بدون شعور.. حتى حواجبها ورموشها اختفت.. ولكنها كانت تبسم.. كانت تحمل هم والديها.. نجبر كسر قلوبهم باهتسامتها، متجاهلة الموت الذي يلوح لها بذراعه..

انصلت بإياد قوياً.. فسبقنا إلى المستشفى، رفصت إصرار جماري علو مراقفتي، بالذات وقد أشك جسمها وعواطفها عسيب حملها، انطلقت معهم، كان إياد في انتظارنا يرتدي ملابس طاقم التمريض ويتناقش مع الأطباء عن حالة سوسن وكأنه أحد أقاربها، عملية كهذه تستغرق الكثير من الإعدادات، ساعتين ونحن نتجول في أروقة المستشفى مع سوسن،

والأطباء منهمكون في الفحوصات والتحاليل الاستعدادية. وسوسن في كل هذه الأثناء تبسم، وتبادل التكات بمرح مع الأطباء، كانت الممرضة نحلق ما تبقى على رأسها من شعيرات وسوسن تنظر إليها تتساقط وتضحك، لمحت سوسن إيد ونحن في طريقنا إلى غرفة العمليات فسألته:

"جا معانا صبح؟"

عرف إيد أنها تقصدني، فأومأ برأسه إيماءة ارتاحت لها سوسن.. دخلت معها غرفة العمليات، واسطحات إيد فثلت في إدخاله معنا، لا أستطيع وصف مشاعري في تلك اللحظات، جيش من الأطباء، حول جسد سوسن الذي استسلم للمخدر وارتخت ابتسامتها، قد تكون هذه آخر ابتسامة تبسّمها، خبت حقول طاقتها وأغمضت عينيها، قد لا نفتحها بعد الآن، ست ساعات مضت وأنا أراقب ما يجري داخل دماغ سوسن، أراقب الدماء التي تنزف والأبخرة التي تصاعدت من جراء التهام أشعة الليزر لخلايا دماغها وأبتهل إلى الله بالدعاء.. انتهت العملية.. خرجنا.. رأيت إيد الملتصق بباب غرفة العمليات وخلفه أهل سوسن الذين عاشوا حالة

انهيار في الساعات الماضية، اقتربت من إيد وهمسست في أذنه:

"إيد بسرعة اسأل الدكتور كيف كانت العملية؟"

"حوجن جاتني ثلاث اتصالات من جماري.. ما انتهت للتليفون عشان كان عالصامت.."

جماري!! ماذا حصل لها؟ تركت سوسن وعلرت على الفور إلى البيت، لم أجد جماري، فقط وجدت آثار معركة لا تعني سوى أن الملك هيف قد أخذ زوجتي.. وابني!

هيف اللعين كان يراقبني طوال الوقت، كان يتحنى الفرصة المناسبة لاختطاف جماري، وكان انشغالي مع سوسن لساعات كافيًا ليخطف جماري، ويقر بطنها ويتخلص منها ومن زعنم ليحصل على ابني.. لا ليورثه ليكون ملك المستقبل.. بل ليضحي به ويشرّب دماءه في حضور مندوب اللعين الذي سيوثق مراسم انتقال الحكم والملك من سلالة الفحيحين إلى سلالة هوا..



(19)

هوجن.. لن (نساك!

أنا سوسن..

سوسن عبد الرحيم سعيد..

اسمعوا لي أن أحكى لكم قصتي..

قصتي التي بدأت منذ بضع سنوات.. عندما كنت لا أزال  
طالبة عشرينية في كلية الطب..

اعذروني مقدماً إن بدت قصتي كخسب من الخيالات  
الخرعبلانية التي لا تصلح حتى أن تكون رواية فانتازية، أعجز  
أنا نفسي عن تصديقها!

قبل أن أبدأ أتعنى أن لا تُعتبروني من الذين يهزون الخرافات  
وأساطير الجن والعفاريت، بالعكس تماماً، أنا إنسانة عقلانية  
واقعية لأعد الحدود، طبعاً لا أجحد وجود الجن، لقد ذكرهم  
الله سبحانه في القرآن الكريم، ولكنني مقتنعة أن الكثير من  
"حكايي" الجن هي وليدة الإشارة المصطنعة والحماس المبالغ  
فيه لكل ما هو غريب عن عالمنا.. إلى أن بدأت أحداث  
قصتي.. بالتصديق عندما انتقلنا إلى بيتنا الجديد.. كانت  
منطقتنا نائية في أطراف المدينة، وفي مناطق كهذه يزداد

قريبة تحصل في بيتنا من أصوات واضطراب في الكهرباء  
وغلق للأبواب، حتى أصبح الجميع يعتبرون بيتنا مسكونا  
بالجن والعفاريت، ما لم أتوقعه هو أن يقتنع والدي رحمة الله  
عليه بهذه الفكرة، أصبح بيتنا ساحة لتجارب السحرة  
والمشعوذين والدجالين بحجة طرد الشياطين، وكانت الظواهر  
الغريبة تتفاقم وتتفاقم معها مرضي.. وتهيؤاتي.. وصلت  
لدرجة أنني أرى العفاريت أمامي يحاولون خنفي ودفعي من  
النافذة، أصبت بنوبات هستيريا وتشنج دخلت على إثرها في  
غيبوبة كادت أن تودي بحياتي، مع استئصال السرطان وفشل  
الكيموثرابي كان لا بد من التدخل الجراحي الذي كانت نسبة  
نجاحه لا تكاد تذكر..

وحصلت المعجزة اعترف الأطباء أن غاية أملهم كانت أن أنجو  
بحياتي من العملية مع بعض الإعاقات الذهنية والحركية  
الدائمة، ولكنني كما نرون أمامكم.. أكتب هذه السطور  
وأحكم لكم قلمي وأبنتي تلعب بجواري.. قدرة الله سبحانه  
ولطيفه فوق كل شيء، فوق العلم وفوق سرطان الدماغ وفوق  
تسبب نجاح العمليات باستئناء بعض الأدوية الوقائية التي  
أتناولها ووعشة خفيفة جداً في أناملي اعتبر نفسي طبيعية

الهنوس بالجن، ويتحول كل تيار هواء بداعب السنانر أو يفلق  
الباب إلى رواية عن عقرت يحاول تطفيش أهل الدار..

كانت هذه قناعتني الجن في حالهم وإحتنا في حالنا لا يمكن  
التواصل معهم بأي طريقة، عكس صديقتي اللاتي نجحن في  
إقناعي بتجربة لعبة الوجد.. لعبة فكرتها التحاور مع الجن..  
في البداية اعتبرتها مجرد تسلية وهم لا أكثر، إلى أن تعرفت  
عليه..

تعرفت على حوجن..

قد تعتبرونني مجنونة أو متوهمة، ولكنني فعلاً تعرفت على  
جني اسمه حوجن، عمره تسعين سنة تعرفت على والدته وجدده  
وزوجته، كنت مقنعة أنني أتكلم معه بالساعات كل ليلة.. كنت  
أستخدم الأيادي للتواصل معه، أنطق الكلام وأشعر بأصابعي  
تتحرك وتكتب الإجابة على الأيادي.. الشيء الذي لم لاحظته في  
البداية هو أن ظهور حوجن كان في نفس الوقت الذي اكتشفت  
فيه أنني مصابة بسرطان الدماغ أجاركم الله.

سبحان الله، جسم الإنسان ملي بالأمرار، بالذات الدماغ.  
كانت أعراض حوجن تتفاقم مع أعراض المرض، بداية بظواهر

كنت بعد العملية كطفلة رضيعة لا أقوى على الكلام ولا الحركة ولا الاستيعاب.. قضيت عاماً كاملاً في برنامج تأهيلي مكثف.. وكان إياد ينتظرنني في المستشفى كل يوم بالساعات. حتى بعد انتهاء فترتي العلاجية تقدم لخطبتي مرة أخرى متجاهلاً جميع الخيارات التي اقترحها والداه. ومتجاهلاً رفضي المتكرر لفكرة الزواج. لا يمكن أن أقبل على نفسي زواج الشفقة. كان العلاج النفسي بالنسبة لي بأهمية الأدوية. مع إلحاح إياد قبلت أن أزوج الدكتور عماد زكي. أحد أروع الأطباء النفسيين. كان الدكتور عماد لا يقبل سوى الحالات النادرة والمستعصية. وتبنى حالتي بحكم صداقتي بوالد إياد. الدكتور عماد هو الشخص الوحيد الذي فهم حالتي وشخصها بكل دقة. واستطاع بخبرته ومهارته أن يفك الحمار عقدي النفسية وأن يعيدني مرة أخرى لحياتي كما كنت قبل أن اكتشف أنني مصابة بالسرطان. استمرت جلساتي العلاجية مع الدكتور عماد عاماً آخر. اكتشفت خلال تلك الجلسات أنني كنت أعاني من الكاتاتونك شيزوفرينيا. كنت أعيش عالماً افتراضياً نسجه عقلي. لن تصدقوتي إلا لو مررت بنفس تجربتي. كنت متلكئة أنني علو اتصال بعالم الجن. كانت الأحداث منسوجة بكل دقة. أتذكر نقاشي مع حوجن. وأسئلته وإجاباته على

جداً. والفصل في ذلك يعود بعد الله لأكثر إنسان أعشق..  
لأكثر إنسان وقف بجانبني في محنتي..

إياد..

زوجي

تعرفت على إياد أيام الكلية. كان دائماً يحاول الاحتكاك بي. وكنت دائماً أتجاهله. بالرغم من أنه كان يصيب نصف بنات الكلية بحالات هستيريا وأنهيار كلما مر أمامهم أو ابتسم لإحداهن أو حتى لمحوه يمتطي صهوة سيارته الرياضية الفارغة. كل ذلك لم يكن يستهويني. فكنت أراه. بالرغم من وسامته وثرائه. شاب عادي جداً. وكنت مقتنعة أن إصراره على ملاحقتي ليس إلا ردة فعل لتجاهلي له. لأن هذا النوع من الشباب لا يستفز سوى تجاهل الفتاة له. فيترك قطعاً من ملكات الجمال ليذهب خلف المعزة الشاردة التي تتجاهله!

ولكن إياد أثبت لي عكس ذلك كله. لقد خسرت جزءاً كبيراً من ذاكرتي. بالذات في الفترة التي تفاقم فيها مرضي. ولكنني أذكر أن إياد تقدم لخطبتي وأنا احتضراً ورقصته. ولكنه أصبح بكل عناء.. لم يتركني لحظة أثناء العملية ولا بعدها..

أعسر إيراد علي تسميتها جمانة.. احترمت إصاره، وكتمانته  
لسر تعلقه بذلك الاسم.. وغيرتي من احتمال أن تكون جمانة  
هذه إنسانة ذات مكانة خاصة في حياته، كل هذا لا يهمني..  
المهم أن الله سبحانه كتب لي حياة جديدة سعيدة.. بفضلته ثم  
بفضل إيراد الذي وهبني حياته كي لا أفقد حياتي، والدكتور  
عماد الذي لا يمر أسبوع دون أن يرسل رسالة لإيراد ليطمئن  
علي وعلى جمانته.. ولا أنسى أيضاً فضل الذي قررت معه عن  
واقعي عندما لم أحتمل الامة.. بالرغم من كونه وهم نسجته  
معاناة نعاغي.. إلا أنني لن أنساه أبداً..

لن أنساك أبداً يا حوجن!

أستلقي والمعلومات التي أخبرني بها عن عالم الجن والأجساد  
المختلفة.. كل ذلك كان قليلاً بارعاً من إخراج وإنتاج..  
دماغي حوجن هو النسخة التي رسمتها أنا لنفسي.. هو  
الشخصية التي ابتكرها نعاغي ليعالج جوانب النقص في  
شخصيتي أنا.. ذكر من عالم آخر نو قدرات خارقة.. أفنق  
نفسي بوجوده لأعرب من واقعي كالكثير مريضة ضعيفة عقلانية  
إلى عالم الخيالي.. كان الدكتور عماد زكي يدعشني.. بل  
يرجفني أحياناً عندما يستنبط ويكمل دقة تفاصيل حالة  
"حوجن" في حياتي.. كان في نفس الوقت يحفز جوانب  
النقص التي دفعني إلى اختراع حوجن.. استعدت ثقتي  
بنفسي، استعدت عشقي للحياة، لم نعض سنة حتى كنت  
مخطوبة لإيراد، قررت أن أسخر حياتي لأرد بعض جمانته  
علي، أستيقظ كل يوم وكأني ولدت من جديد، نعماً كل يوم  
نستيقظ فيه هوية من الله سبحانه، لا بد أن نستغل كل  
لحظة فيه لنسعد من حولنا، ونسعد بسعادتهم، ليس بالضرورة  
أن يواجه الإنسان الموت ليستشعر أعظم نعم الله عليه.. نعمة  
الحياة! نشكر الله على حياتي.. لحظة بلحظة.. من أجل  
إيراد.. ومن أجل ابنتي.. جمانة!

(20)

الوداع یا سوگنا

كنت أظن أن أصعب لحظة في الحياة هي لحظة الوفاة..  
تقريب منا كلما فررنا عنها.. لكنني اكتشفت اليوم أن في  
الحياة لحظات نتمنى أن يداعبنا الموت قبل أن نداعبنا..  
لحظات يقتلنا فيها الألم لفقد من ذابت لهم قلوبنا.. اليوم تركت  
سوسن بين الحياة والموت لأفجع بفقدان جماري.. وابني!  
انطلقت إلى ملاح وأنا متيقن من أنني لن أعود. احتشد الجميع  
في ساحة المدينة حول المنصة الملكية، التي جلس عليها هياف  
بكامل أبهتة على عرشه. وعن شماله مبعوث اللعين وأمامهم  
المذبح، وعلى المذبح طفل رضيع. هذه أول مرة أرى فيها  
أبني.. أراه بين يدي سادن يثأب لذبحه من أجل اللعين! في  
صوقف كهذا لا يحتاج الشخص إلى تحليل أو تفكير، كنت  
أتقدم نحو المنصة بجنون وهياف يتلو الطلاسم وفي لحظة  
مباغتة كنت أمام السادن الذي صُنع عندما فوجئ بي أمامه،  
لم يستمر انداءشه لأكثر من لحظة حيث كنت أمرر السكين  
التي كان يمسكها فوق عنق ابني على عنقه هو، لم أعطه  
الفرصة ليستويج أنه تُسج على مذبحه! مدت يدي لأتناول  
ابني الذي لطخته دماء السادن ولكن حركتي تكبلت قبل أن  
أصل إليه حيث هجم علي جيش من الحرس الذين تكوّموا

فوقتي وثبتوني على الأرض، رأيت أقدام الملك تقترب بيطة من رأسي المنصق بالأرض:

"حوجن.. معليش اضطريت أفتح يطن جماري عشان  
أخذ الولد.. تعرفني ما أقدر أصبر"

فجأة سقط أمام وجهي مباشرة رأساً.. رأس زعمام..

"للأسف الشديد اضطريت أقتله.. كان بيسوي فيها  
بطل وبيدافع عن أخته، بر تصدق؟ العدام من جد  
حلو، حتى وإحنا بنشق بطنها كانت غاية في  
الجمال! بر ما حبيت أشفك عن البنوة الإنسانية  
وأجيبك تشوف ولدك يتذبح قدامك.. أخلاقيا في ما  
تسمح لي.. لكن بما إنك أمرت تشرفنا.. هاني  
مائع نشرب المزيد من دم الفحيحين.."

كانت هذه غلطة هياف الكبرى، تجرا على ذكر جماري! لقد  
أصدر حكم الإعدام على نفسه! ما جت الدنيا أمام عيني  
أعتقدت أنني استطعت رفع كومة المردة فوق ظهري لوفقة ثم..  
انتقلت! انتقلت إلى عالمكم.. وسحبت معي مجموعة منهم  
شعرت بنفسي ساقطاً في الهواء، لارتطم بالأموح الثائرة

ومن حولي المدمقة.. صارحت الأمواج وأنا أسمع صرخاتهم  
التي لم تستوعب أنهم انتقلوا إلى البعد المادي ليغرقوا في  
أعماقه. يجب أن أعود لأخذ ابني! شعرت بذراع لزوج يلتف  
حول عنقي وذراع أخرى التفت حول معصمي وذراع التفت  
حول خصري وآخر حول صدري ويعتصرني بشدة، يحطم  
أضلاعي وشعرت بأنياب حادة تنقرس بين رقبتي ويكتفي.. لقد  
كان ذلك هياف.. قرر أن يتخلص مني في العالم المادي  
فتجد واتخذ شكل مخلوق عجيب يتكرر متعددة وأنياب حادة  
كان من المستحيل أن أتخلص منها، حاولت أن أعود لبعدينا  
بإستقامته، اختنقت بدأت أشعر أن لحظة وفاتي قد حانت،  
ولكنني ما إن تذكرت ابني حتى فرت مني لحظة الوفاة  
فصرخت رغم اختناقي وضلوعي المتهشمة والمياه التي ملأت  
صدري.. حاول أن يلجم فمي بأذرعة ولكن صرختي انطلقت  
وأعادتنيا سقطت كالحجر بفوق المنصة وسجوا ري الملك  
هياف.. ولكن المنصة التي غادريها لدقائق بسيطة انقلبت إلى  
ساحة معركة حقيقية! الفلطة الأخرى التي ارتكبها هياف هي  
أنه تعادى قبي التهكم بالفحيحين! ثارت تمازهم التي كان يتوعد  
يشربها قاتقصورا على الحراس وعاونتهم الحشود التي لم تعد  
تطبق ظلم هياف.. كانت معركة غير متكافئة أبداً.. استأثر



فتحت عينيها بتأقل شديد، حاولت أن تتعلق بحضني ولكن جراحها وآلامها لم تسعفها سوى بتحريك شفتيها:

"حوجن.. حوجن حبيبي.. ليه تأخرت؟"

صعقت شفاهي ونطقت دموعي.. احتضنت كفها إلى صدري..

"حوجن كيف حال سوسن.."

أومات برأسي.. لا يهمني في هذه اللحظة سوى جماري وابني.. لمحتنا زوجة عمي فأقبلت في فوح تحمل ابنا، تناولته منها بيد ورغمت جماري باليد الأخرى ليستمتع بحضن أمه لأول مرة، ابتسمت جماري وكأن روحها عادت إليها هي أيضاً عندما اطمأنت على ابنا..

"ميجال.. شبهك يا حوجن"

"قصرك إلياسين.."

لم يتوقع أحد أن لا أسمي ابني على اسم أبي وأن أسميه على اسم جدي القوي..

"إلياسين؟"

فيها الفحيون بالكثرة والشجاعة ووجد هياف نفسه ملقاً بين أقدام الذين كانت غاية أمانهم أن يدوسوه ويخلصوا من ظلمه، لم أبه بهيفاً ولم أبه بدمائي التي تنزف بفرازة عن رقبتني وكنتني، ولا بالألام الوهيبه في ضلوعي.. فقط انطلقت بين الزحام نحو ابني الذي حمه أحد أعمامي، تناولته منه، احتضنته لأول مرة في حياتي، ثم انطلقت الدنيا في عجنى وفقدت وعيي،

لطف الله ليس له حدود، في خضه يأسنا ومأسينا تنسينا عقولنا المحدودة لطف ربنا وقدرته، حتى إذا انقضى علينا هلاكنا تلمدنا برحمة منه تخلصنا من بأسنا وتنسينا مأسينا. ألفت من غيبوبتي في اليوم التالي، كنت مستلقي في بيت أحد أعمامي يغمدون جراحني، تلفت فرأيت ابني تحمله زوجة عمي، تلفت للجهة الأخرى فرأيتها، رأيت جماري مستلقية جوارى.. رأيتني لها ردت إلي روجي فتوجهت لها رغم الآسي، أريد أن أتأكد إن كانت هذه جماري أم جثتها، كانت شاحبة كالأموات وكان دماغها قد جفت.. وضعت يدي على جبينها وهستت همسة عجزت أذني عن سماعها..

"جماري.. جماري.. أنا حوجن.."

تفعلها جسمانياً وعقلياً، ولكن نفسيته بقيت محطمة، وتدخلت أنا لعلاجها بخطة عبقرية رسمها إباد، بدأت سوسن تتذكرني وتذكرني، سألت إباد عني مراراً، ولكنني نهيته إلى أنه يجب أن ينكر وجودي، يجب أن تنسى سوسن كل شيء عني كي تعيش حياتها الطبيعية وتسخر جميع عواطفها لإباد، استغل إباد شهادته الطبية وبعض أموال أبيه ليفتح عيادة نفسية، واختار أكثر الأطباء خبرة في حالة سوسن أنا!

استغرقت فترة طويلة لأتقن التشكل في عالمكم، والبركة في جماري التي علمتني، كنت أنتحل شخصية الدكتور النفسي عماد زكي، وكانت جماري تنتحل شخصية ممرضتي، هي أصرت على ذلك من باب الفضول، والغيرة على ما أعتقد، معرفتي بكل ما حصل لسوسن سهل علي عملية إقناعها بأنني لم أكن سوى وهم نسجته خيالها وشخصية ابتكرتها هي لتعزيز جوانب النقص في شخصيتها.. لم تقتنع بسهولة، سنة كاملة وأنا أعيد إحياء معنوياتها وثقتها في نفسها، سنة كاملة وأنا أحاول محو جميع تكرياتي من وجدانها.. ونجحت! كنت أتعذب وأسيطر على دموعي بصعوبة أثناء كل جلسة وتتهار سيطرتي بعدها. كنت أن أقضج نفسي أكثر من مرة، كنت أن أعترف لها بوجودي وبحيبي، ولكن ذلك الحب منعني من أن

"اسم جدي الله برحمه.. لو أبيه كان عايش ما كان رضي يسميه غير إلياسين.."

تركنا ملاح بعد أن تعالينا للشفاء أنا وجماري، بعد مقتل هياف والتعجيل بجثته اتفق سكان ملاح وضواحيها على تشكيل سلطة حاكمة مكونة من زعماء القبائل يتواسمهم عمي، وبالرغم من انشغاله إلا أنه حاول مراراً ليقتنعا بالاستقرار في ملاح، نفس المحاولات حاولها معنا شيخ اليتمة عندما ذهبت لأري ابنتي إلياسين لوالدتي، فبررت أن اخذ والدتي وزوجتي وابني لنستقر بعيداً عنكم أيها الإنس.. وبعداً عن الشياطين في ملاح وبعداً عن المتشدددين في اليتمة فانتقلنا للعيش في الهندية التي تطورت مديناً عندما تعايش سكانها تحت مظلة الحرية والعدل وتجاهلوا العنصريات القبلية والمذهبية.

انشغلت بأسرتي عن سوسن.. عدت للاطمئنان عليها بعد أن استقرت أموري العائلية، كانت حالتها تدمي القلوب، بعد العملية فقدت ذاكرتها وقدراتها العقلية وأملها في العودة لحياتها الطبيعية، كانت كطفلة تائهة لا تملك سوى إصرارها وتعلقها برحمة الله، وكان إباد معها لحظة بلحظة، كنت لحضر معه جلسات العلاجية، التي استمرت سنة كاملة أعانت

أشكركم على كل كلمة قرأتوها وكل عاطفة شاركتوني إياها،  
قد أكون بجوار أحبكم الآن وهو يقرأها، قد أشاهد أبنائكم  
وأحفادكم يقرأونها، كم ترعيني هذه الفكرة فكرة أنني أكبر  
ببطء بينما أشاهد سوسن تكبر أمامي بسرعة.. بعد سنوات  
قليلة ستكون جمانة وتزوج ويصبح لسوسن أحفاد و..

المهم أن تكون هي بخير..

وأن تكون فكريكم عنا قد تغيرت..

وأن أترك بين يديكم قصتي..

قصتي مع سوسن.. الإنسانية.



.. النهاية -

أعود مرة أخرى لحياتها التي عادت إلى طبيعتها. عزيموني  
بصفتي الدكتور عماد زكي وممرضتي، جماري، إلى  
زواجهما، وبعد بضعة سنة عزيمونا بمناسبة تشريف مولودتهم  
الجديدة التي أنصر إياد على تسميتها جمانة إكراماً لجماري  
بالرغم من أن ذلك الإصرار كان أن يفضحنا.

أصبحت أراقبها كلما سنحت لي الفرصة. أزور منزل الدكتور  
عبدالرحيم رحمة الله عليه كل جمعة حيث تأتي سوسن وإياد  
لزيرة السيدة رجاء، أخذت معي إلياسين أحياناً، ترانا طفلتهم  
جمانة التي لا تزال روحها غضة شفافة فتضحك مع إلياسين،  
أحرص دائماً على توصية إياد على سوسن، أرسل له رسائل  
من جواله الذي لا زلت أحفظ به، وعندما تسأله سوسن يجيبها  
بانها رسالة من Dr. E Z الدكتور عماد زكي للسلام  
والاطمئنان.

وماهي السنين ترونها تمر بسرعة، وتراها تمر أسرع.. لا  
أصدق أن إلياسين أصبح في الرابعة وجمانة في الثانية من  
عمرها، مرت في هذه السنين البسيطة من عمري بأحداث لم  
تمر علي في التسعين سنة التي قبلها، وما زلت أتساءل لماذا  
كتبتها لكم..

الخفيفة وأنا أتوجه إلى المصعد كطفل سيتعرض للتوبيخ الشديد!

"يعني حضرتك سايب الشغل وجالس تتحلون قدام البنات؟"

قالتها بغضب ونحن في طريقنا إلى غرفتي..

"مو مشكلة! أدبني ساعة بس وأنا أتعلم لك فيها صيلي ولاوتدي كمان!"

"لحسن حظك السيد بروس يتكلم إنجليزي!"

"طب ما قلت لك من أول بلاشي الغلبة وخلينا نعشيبها بالإنجليزي أو جهاز الترجمة!"

"وأناتك لك إنه ما فيش أحسن من التفاهم مع الشخص بلغة!"

غاصت في غرفة الملابس، وعادت بسترة رياضية صفراء، مزينة بخطين عريضين أسودين على طول أكمامها..

"مفكرتنا!"

- من صفحات الرواية القادمة: هناك -

مرت بنا الساعات سريعة ونحن نعرف ونغني، تذكرت معظم الأغاني التي سمعتها في حياتي، عزفتها، وغنيتها معين. من أغاني أم كلثوم وحتى أغاني الفلام الكرتون! اعتقد أن كارلوس سانقانا سيتحطم نفسياً ويعتزل إن سمع عزفي على القيثارة لم أجرو طبعاً على طلب تعلم الغيتار من بيتيوتن، وإلا لحطه على نافذي. فعلاً لم أشعر بوقتي وأنا غارق في المتعة مع ليان وأخواتها، حتى بترت ملاك متعتنا فجأة! كانت واقفة أمامي مكتفة يديها وجمالها كله تحول إلى كتلة من الخيرة والغضب، لم ألاحظ أنا وجودها في البداية فقد كنت منهمكاً بالعزف والغناء إلى أن ارتبكت ليان وأصفر وجه لينا وانشلت حركة لين، رفعت رأسي نحو ملاك فقالت:

"学习中国呢！太棒了!"

طبعاً لم أفهم من رطنها شيئاً فقط استوعبت أنها كانت عبارة غامضة باللغة الصينية التي كان من المفترض أن اتقنها بدل أن أضيع الوقت مع ليان وأخواتها!.. ملاك لم تقرصني من أذني ولم تجروني بها إلى المصعد، ولكنني شعرت ضيقاً بالألم والشد في أذني، لم تستطع الحوريات حبس ضحكتهن

هتفتُ بها ففجأبتني:

"تذكرت السيد بروس؟"

"لا! تذكرت إنني إتحداري حتى النخاع! كيف عرفت إنني  
إتحداري؟"

ما زالت تغيرتها مشتملة.. لا ألومها! بصراحة لا شعاع غيرة  
الفتيات لذة خاصة.. معهم أفضل أن أحترم نفسي حتى وأنا  
أفكر مع نفسي.. لا تنسوا أنها تقرأ أفكاري وقد تتفجر في أي  
لحظة! ألقت بالملائس على وجهي وقالت بعصبية:

"عندك ثلاث دقائق! تغير مائيسك على بال ما أجيب  
السيارة من الموقف! لو تأخرت حارح وأسبك!"

قالتها بلهجة أمرة لا تتعاشى أبداً مع رقتها ونعومتها.. ولكنها  
ماتنة حتى وهي في قمة غضبها! ليست بسرعة خارقة ونزلت  
في اللحظة التي علا فيها هدير محرك سيارة شيفروليه  
إمريكية وظهرت مقدمتها الحمراء الطويلة تقودها ملاك التي  
لفت على رأسها منديلاً حريراً أبيض مزين بدوائر سوداء  
وارتدت نظارة داكنة كبيرة، كأنها إحدى معلمات هوليود في  
عز السبعينات.